



منظومة التحصين التربوي في فكر الإمام علي عليه السلام على ضوء القرآن الكريم  
- العلم، القدوة، والعالم الرباني كآليات لمواجهة الانحراف -

محمد كاظم حسين الفتلاوي<sup>١</sup>

<sup>١</sup> جامعة الكوفة / كلية التربية (المختلطة) / قسم علوم القرآن، العراق؛

[mohammedk.alfatlawy@uokufa.edu.iq](mailto:mohammedk.alfatlawy@uokufa.edu.iq)

دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن / أستاذ

ملخص البحث:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين في ظلّ التحديات التربوية المعاصرة التي تهدد النشء المسلم، تبرز الحاجة الملحة لتحمل الباحثين والمربين مسؤولياتهم الرسالية تجاه الأمة ودينها، عبر العودة إلى ينابيع الأصالة في التراث التربوي الإسلامي، ومن هذا المنطلق، جاءت هذه الدراسة لتبحث في منظومة التحصين التربوي في فكر الإمام علي عليه السلام على ضوء الوحي القرآني، بوصفها إطاراً معرفياً متكاملًا لمواجهة مظاهر الانحراف الفكري والسلوكي في المجتمع.

وقد تركّز البحث حول ثلاث ركائز أساسية تشكّل جوهر هذا التحصين، هي: العلم، والقدوة، والعالم الرباني، يتناول المطلب الأول العلم والمسجد بوصفها ركيزتين لترسيخ الوعي والبصيرة، وتفعيل دور المؤسسات التعليمية والدينية في غرس المفاهيم القرآنية وتصحيح السلوك الإنساني، أمّا المطلب الثاني، فيسلط الضوء على القدوة الحسنة بوصفها آلية تربوية عملية تترجم القيم إلى سلوك واقعي يساهم في بناء الشخصية السليمة، في حين يبيّن المطلب الثالث دور العالم الرباني بوصفه القائد والموجه نحو الهداية والإصلاح، الجامع بين عمق العلم وشمول الرؤية التربوية، القادر على استيعاب حاجات الأمة وتوجيهها بخطاب متجدّد وواع، واختتم البحث بخاتمة تضم أبرز النتائج، تليها قائمة بالمصادر المعتمدة.

تاريخ الاستلام:

٢٠٢٥ / ١١ / ٢٥

تاريخ القبول:

٢٠٢٦ / ٢ / ٢٦

تاريخ النشر:

٢٠٢٦ / ٣ / ٣١

الكلمات المفتاحية:

الإمام علي عليه السلام، القرآن الكريم، منظومة العلم، القدوة، العالم الرباني.

السنة (١٥) - المجلد (١٥)  
العدد (٥٧)  
رمضان ١٤٤٧ هـ  
آذار ٢٠٢٦ م.

DOI:

10.55568/amd.v15i57.1-46



# Educational Fortification System in Thought of Imam Ali in light of glorious Quran - Knowledge, Paragon , and Divine Scholar as Mechanisms for Confronting Deviance -

Mohammad Kadhim Hussain Al-Fatlawi <sup>1</sup>

<sup>1</sup> University of Kufa/ College of Education (Co-educational)/ Department of Quranic Sciences, Iraq; mohammedk.alfatlawy@uokufa.edu.iq

PhD in Exegesis and Sciences of Glorious Quran/ Professor

---

**Received:**

25/11/2025

**Accepted:**

26/2/2026

**Published:**

31/3/2026

---

**Keywords:**

Imam Ali ,glorious  
Quran, System,  
Knowledge,  
Role Model, Divine  
Scholar

---

**Al-Ameed Journal**

Year(15)-Volume(15)  
Issue (57)

Ramadhan 1447 AH  
March 2026 AD.

DOI:  
10.55568/amd.v15i57.1-46

**Abstract:**

In light of contemporary educational challenges that threaten the Muslim youth, there arises an urgent need for researchers and educators to fulfill their missionary responsibilities toward the Ummah and its religion. This is achieved by returning to the springs of authenticity within the Islamic educational heritage. From this perspective, this study examines the system of educational immunization in the thought of Imam Ali (Peace Be Upon Him) in light of the Quranic revelation, serving as an integrated cognitive framework to confront manifestations of intellectual and behavioral deviation in society.

The research centers on three fundamental pillars that constitute the essence of this immunization: Knowledge, the Role Model, and the Divine Scholar.

The first requirement addresses Knowledge and the Mosque as two pillars for consolidating awareness and insight, and activating the role of educational and religious institutions in instilling Quranic concepts and correcting human behavior. The second requirement highlights the "Good Role Model" as a practical educational mechanism that translates values into realistic behavior, contributing to the construction of a sound personality. Meanwhile, the third requirement demonstrates the role of the "Divine Scholar" as a leader toward guidance and reform, combining depth of knowledge with a comprehensive educational vision, capable of comprehending the needs of the Ummah and directing it through a renewed and conscious discourse. The research concludes with a summary of the most prominent results .

## مقدمة:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين  
يمثل فكر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مدرسة متكاملة في بناء الإنسان وإصلاح المجتمع، إذ جمع  
بين عمق العقيدة ونقاء السلوك وصدق الموقف، فجاءت كلماته ومواقفه دستوراً تربوياً قادراً على  
معالجة مختلف الظواهر الاجتماعية، وفي مقدمتها ظاهرة الانحراف الفكري والسلوكي.

إن الانحراف في جوهره ليس مجرد خلل سلوكي؛ بل هو انحراف في الفكر والقيم  
والاتجاهات، ولا يمكن علاجه إلا عبر تربية علمية واعية نابعة من بيئة دينية ومؤسّسة  
أكاديمية، وقدوة صالحة حيّة، وتوجيه ربّاني رشيد ينهض به العلماء العاملون.

فرضية البحث: تتركز الفرضية المركزية للبحث حول أن الإمام علياً عليه السلام قد أسّس منهجاً  
تربوياً ذا طبيعة شمولية وعمق معرفي، يستقي جذوره ومرجعياته التطبيقية من المبادئ  
الأساسية للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ويتجسّد هذا المنهج عملياً في تفعيل أدوات  
رئيسة تشمل: العلم والمؤسّسة التعليمية والمسجد ودورهم المحوري في تهذيب السلوك  
وتحصينه، إضافة إلى اعتماد القدوة الحسنة بوصفها آليّة فاعلة للتوجيه، والتأكيد على دور  
العلماء الربّانيين بوصفهم قادة حقيقيين للإصلاح الشامل.

أمّا أسباب اختيار موضوع البحث: يكمن الدافع الأساسي لاختيار هذه الدراسة في  
رصد الانحرافات التربوية والأخلاقية المعاصرة ومعالجتها، التي تتجلى في الظواهر الآتية:  
١. ضعف الدور المؤسسي؛ أن غفلة الأمة عن الدور الحيوي للمسجد والمؤسّسات التعليمية،  
بعد أن تمّ تفرغها من محتواها التربوي الهادف واقتصارها على الطقوس الشكلية، ممّا  
أضعف تأثيرها في صلاح الفرد والمجتمع.

٢. غياب القدوة الفاعلة؛ إن التغيب الواضح للقدوة الحسنة وتحجيم دورها في الساحة  
العامة، ممّا خلق فراغاً تربوياً في التوجيه السلوكي.

٣. انعزال النخبة العلمية؛ إن ابتعاد كثير من العلماء والتدريسيين عن مخالطة الناس عامّة  
ومشاكلهم وآلامهم، ممّا أحدث فجوة بين العلم والميدان العملي.

٤. مشكلة الخطاب؛ إِنَّ تَبَنَّى بعض العلماء وأساتذة الجامعات خطاباً انعزالياً أو أصولياً محضاً لا يتناسب مع لغة الجمهور وقدراتهم الإدراكية، خلافاً للمنهج القرآني وسيرة المعصوم عليه السلام الذي يؤكّد على ضرورة مخاطبة الناس بلسانهم ومحتوى لغتهم لضمان التبيان والفاعلية. إذن؛ فهناك مسؤولية العلم ومسؤولية أخرى لطريقة توصيل ذاك العلم إلى الناس، وفي ذلك يقول النبي الخاتم عليه السلام: (نصّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، ثمّ بلغها عني؛ فربّ حامل فقه غير فقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه)<sup>١</sup>، فهذا الحديث الشريف إضافة لما تقدّم هو دعوة نبوية لنشر العلم بوعي، مع الإشارة إلى أثر هذا النشر المبارك على شخصيّة الناقل فيجعله قدوة حسنة، مع التنويه بأهميّة التعمّق والفقه للوصول إلى مرتبة العالم الربّاني القادر على استثمار هذا العلم بشكل فعال في مواجهة الانحراف.

هدف موضوع البحث: يهدف البحث إلى تقديم إطار علاجي وتحصيني متكامل من منظور فكر الإمام علي عليه السلام، وذلك لتحقيق الأهداف الآتية:

١. تأصيل منهج التوصيل العلمي: تحديد مسؤولية العلم إلى جانب مسؤولية طريقة توصيل هذا العلم للناس، وإبراز أهميّة تطوير اللفظ والمحتوى ومنهج الأداء في الخطاب التربوي.  
٢. التأكيد على التكيف المنهجي: إثبات أن التنوع والتكيّف مع العقول على غرار قوله عليه السلام: (إنّا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم)<sup>٢</sup>، هو مبدأ أساسي في المنهج النبوي والعلوي للتعامل مع الآخرين، وأنّ الحكمة تكمن في معرفة طريقة عرض الحق وليس فقط معرفته.

٣. إبراز وحدة الهدف في التنوع: الكشف عن أنّ المنهج العلوي، امتداداً لمنهج الأنبياء وأهل البيت عليهم السلام، يجسد الوحدة في التنوع؛ إذ إنّ اختلاف أدوار الأئمّة عليهم السلام وتكتيكاتهم كان تعبيراً عن وحدة الهدف والرسالة المتمثّل في تحقيق العدل ونشر التعاليم الإسلامية الأصيلة، ممّا يثبت أنّ التنوع في الوسائل يخدم تكاملية الرسالة.

١ المجلسي، محمّد باقر. بحار الأنوار (بيروت: دار الوفاء، ١٩٨٣)، ١٤٨/٧٤.

٢ المجلسي، بحار الأنوار، ١٤٢/٢٤.

\* نصّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها: دعاء من النبي صلى الله عليه وآله بأن يجعله الله نصير الوجه، بهيّ الطلعة، مُشرق المحبّ في الدنيا والآخرة، وهذا يشمل كل من سمع حديثه فوعاه وحفظه

إنَّ تفعيل المنهج التربوي العلوي الشريف ضمن آليات التكييف والشمول يُعدُّ السبيل المستقيم في تحقيق المعالجات الإصلاحية لجميع الانحرافات الفكرية والسلوكية لدى الشباب المسلم، ولا غرو إذ تُظهر دراسة السياق القرآني تنوعاً في أساليب الأنبياء عليهم السلام في الدعوة، فمع وحدة الهدف والجوهر (دعوة التوحيد)، اختلفت طرق الحوار والإقناع بتغير بيئات الأقسام وخصائصهم، هذا التنوع المنهجي يُشير إلى ضرورة تطوير الخطاب الدعوي ليشمل تكييف الألفاظ والمحتوى، وطرق التواصل لضمان فاعلية الإيصال، وتؤكد سيرة النبي الخاتم عليه السلام، في كثير من تفاصيلها الشريفة، على وضع التنوع والتكيف مع العقول في صميم المنهج النبوي في التعامل مع الناس، مؤكدةً أنَّ الحكمة ليست فقط في معرفة الحق؛ بل في معرفة طريقة عرضه على الناس.

وقد سار أئمة أهل البيت عليهم السلام، بوصفهم ورثة المنهج القرآني والنبوي، على ذات القاعدة المنهجية، فعلى الرغم من تباين أدوارهم باختلاف الظروف التاريخية والاجتماعية التي واجهوها، ظل الهدف المشترك هو تحقيق العدل ونشر التعاليم الإسلامية الأصيلة، وفي هذا السياق، يؤكد السيد الشهيد محمد باقر الصدر أنَّ جميع أدوار الأئمة عليهم السلام كانت تهدف إلى تحقيق العدل وإبراز الإسلام الأصيل، وإن اختلفت الأساليب والتكتيكات استجابةً لمتطلبات المرحلة<sup>٣</sup>.

إنَّ هذه الوحدة في التنوع ليست تشتتاً؛ بل تعبيراً عن تكامل الأدوات لخدمة الهدف الأسمى، ويتركز تفعيل هذا المنهج الشمولي حول ثلاثة أركان أساسية لا غنى عنها في الإصلاح التربوي، وهي:

العلم والمسجد بوصفهما معيارين للوعي والبصيرة: يُعدُّ استثمار المؤسسات التعليمية والمساجد ركيزةً استراتيجيةً لتعزيز الوعي القيمي، وتصحيح المفاهيم الفكرية، وتحصين السلوك المجتمعي؛ بما يضمن صياغة رؤية معرفية وبصيرة أخلاقية واعية.

٣ الصدر، السيد محمد باقر. أهل البيت عليهم السلام، تنوع أدوار ووحدة هدف، تحقيق: عبد الرزاق الصالح (قم: مؤسسة ام القرى للنشر والتحقيق، ٢٠٠٦)، ٢١ وما بعدها.

القدوة بوصفها أساساً للسلوك القويم: التأكيد على دور القدوة الحسنة بوصفها آلية تطبيقية فاعلة؛ إذ لا يكتمل الإصلاح النظري من دون تجسيد عملي ينقل المبادئ إلى سلوك ملموس.

العالم الربّاني بوصفه قائداً وموجهاً نحو الهداية: العالم الربّاني قائد فكري وتوجيهي، يتولّى مهمّة الإصلاح الشامل ويجمع بين العلم والعمل، ويسعى إلى هداية الأمة وتحصين شبابها من الضلال مستخدماً التنوع في الخطاب بما يتلاءم مع قدرات المتلقين وظروفهم. ويتجلّى للباحث أنّ هذه الأركان الثلاثة في الفكر العلوي الشريف درع وقائي للمجتمع، ومنظومة قيمية متكاملة تُحصّن نفوس الأفراد وتمنحهم تماسكاً فكرياً وسلوكياً عصياً على الاختراق والزعزعة.

أهميّة البحث ومبرراته العلميّة: تكمن الأهميّة العلميّة والعمليّة لهذه الدراسة في تناولها لجذور الإصلاح التربوي كآلية للتحصين المجتمعي، وتبرز أهميّتها بما يأتي:

١. بناء الفرد والمجتمع: تؤكّد الدراسة على أنّ منظومة العلم والمسجد والمؤسّسة التعليميّة هي البيئة الأساسيّة التي يُسخرّ فيها العلماء الربّانيون أوقاتهم وجهودهم لنشر العلم والتربية، ممّا يُعظّم الأثر في تجديد معالم الإسلام وتوفير قاعدة صلبة لنمو الفرد والمجتمعات الإسلاميّة.

٢. تحصين الشباب ضد الانحراف الفكري والسلوكي: يُبيّن البحث أنّ التسلح بأسس المنهج العلوي يُعدّ خطّ دفاع أوّل ضد الضلال. فالعلم النافع يُزوّد الفرد بالوعي والبصيرة، ممّا يجعل مخادعة الشباب وتليبسهم في فهم النصوص أمراً بالغ الصعوبة، وبالمقابل، فإنّ الغفلة والجهل هي البيئة الخصبّة للجهل المركب الذي يُنتج التطرف والسلوك المنحرف.

٣. تكامل محاور المعالجة والتحصين: تبرز أهميّة البحث في إطار المعالجة المتكاملة والتحصين من الانحراف عبر دراسة ثلاثة محاور محوريّة:

- العلم والمسجد بوصفها آلية للوعي والبصيرة.
- القدوة الحسنة بوصفها أساساً للسلوك القويم والنموذج التطبيقي.
- العالم الربّاني بوصفه قائداً وموجهاً نحو الهداية، يتولّى مهمّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

في مواجهة التحديات المعاصرة المتعاطمة، وخاصة اتساع دائرة الانحراف الفكري والسلوكي لدى أفراد الأمة والشباب على وجه الخصوص، تبرز الأهمية القصوى لهذه المعالجة للتحصين، المستمدة من فكر الإمام علي عليه السلام، لتشغل موقعاً محورياً وضرورياً في صميم جهود الإصلاح والتحصين في العصر الحديث.

أما منهجية البحث: فقد اعتمدت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي بما ينسجم مع طبيعة الفكر التربوي والإصلاحي للإمام علي عليه السلام، ويهدف تطبيق هذا المنهج إلى تحقيق ما يأتي:

١. وصف الظاهرة وتحليلها: وصف وتحليل ظاهرة الانحراف الفكري والسلوكي، والوقوف على أبعادها وتأثيراتها المجتمعية.

٢. استنباط الأسس التربوية: استخلاص وتفسير الأسس والمبادئ التربوية الإصلاحية المستنبطة من فكر الإمام علي عليه السلام، ولا سيما تلك التي تعالج جذور هذه الانحرافات وتحصن الأمة منها.

٣. توقع الأثر المستقبلي: بيان العلاقات الرابطة بين هذه الأسس (العلم، القدوة، التوجيه الربّاني) وبين بناء الفرد، واستشراف الأثر الوقائي والعلاجي لهذا المنهج في رعاية الشباب وتحصينهم من الانحرافات المعاصرة، مما يضمن تجديد معالم الإسلام في نفوسهم. وقد أُجري التحليل على نصوص الإمام علي عليه السلام في "نهج البلاغة" والمصادر الأخرى الموثوقة، بوصفها إطاراً متكاملًا لإحياء البصيرة والوعي..

دراسات سابقة: أطلع الباحث على جملة من الدراسات والبحوث ذات الشأن، وقد كان منها على سبيل المثال:

١. المبادئ والأساليب التربوية في نهج البلاغة - دراسة مقارنة، أميرة برغل - دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٥م.

٢. حقوق الإنسان عند الإمام علي عليه السلام، د. غسان السعد، العتبة العلوية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ط ٢، ٢٠١٠م.

٣. الأثر القرآني في فكر الإمام علي (عليه السلام) - دراسة للمبادئ التربوية في نهج البلاغة - د. محمد كاظم حسين الفتلاوي، مجلة كلية الفقه، جامعة الكوفة، العدد ٣٢، ٢٠٢٠م.
٤. التربية والتعليم في نهج البلاغة، د. محمد رضا شرفي، ترجمة: مركز الأبحاث والدراسات التربوية وجمعية المعارف الإسلامية، ٢٠٢٢م.
٥. المنهج التربوي في فكر الإمام علي (عليه السلام): المبادئ والأهداف، د. سيد زهير المسيليني والدكتور فائزة بسندي، مجلة أوراق ثقافية، بيروت، السنة ٦، العدد ٣١، ٢٠٢٤م.
- على الرغم من القيمة المعرفية والتربوية التي تتمتع بها البحوث والدراسات السابقة التي تناولت فكر الإمام علي (عليه السلام)، فإن هذه الدراسة: (منظومة التحصين التربوي في فكر الإمام علي (عليه السلام) على ضوء القرآن الكريم - العلم، القدوة، والعالم الرباني كاليات لمواجهة الانحراف-) تسعى ملء فجوة بحثية محددة، فهي تؤكد أن منهجها يتميز بتركيزه العميق على الأسس المحورية للمعالجة التربوية للانحراف الفكري والسلوكي.
- إن الاختلاف الجوهرى يكمن في أن البحث يتخذ من أسس (العلم، والقدوة، والتوجيه الرباني) محوراً تحليلياً مركزياً، وتعد هذه الأسس، في ضوء تتبع الباحث، بمثابة أركان جامعة تستمد منها المعالجات الأخرى للانحراف، وهو ما لم يلاحظ له تأكيداً شاملاً ومحوري في الدراسات والبحوث التي تم ذكرها أو التي اطلع عليها الباحث.
- هيكليّة البحث: بما أن هذه الدراسة تسعى إلى استنطاق فكر أمير المؤمنين (عليه السلام) في وضع أسس تربوية لمعالجة هذه الظاهرة، فقد كان البحث في ثلاثة مطالب بدت للباحث أنّها تمثل مرتكزات الإصلاح في رؤيته (عليه السلام): المطلب الأول: العلم ودوره في تهذيب السلوك. المطلب الثاني: القدوة الحسنة وأثرها في توجيهه، المطلب الثالث: العلماء الربانيون ودورهم في الإصلاح، وعلى النحو الآتي:

### المطلب الأول: ترسيخ قيمة العلم والحكمة ودورها في تهذيب السلوك

يُعدُّ العلم مبدأً أساساً في فكر الإمام علي عليه السلام في الوقاية من مرديات الهوى وأصحاب السوء، فهو الركيزة الأولى في بناء الشخصية المتوازنة، وهو الوسيلة التي تخرج الإنسان من ظلمات الجهل إلى نور الهداية، فالعلم عند أمير المؤمنين عليه السلام لا يقتصر على اكتساب المعلومات أو في جعل العقل خزانة للمعارف ليس إلا؛ بل عنده يشمل تربية الضمير وتزكية النفس، ممَّا يجعل المسلم قادراً على مقاومة الانحراف الفكري والسلوكي.

ويبدو لنا أنَّ من أهمِّ أماكن طلب العلم النافع في فكر أمير المؤمنين علي عليه السلام هو المسجد؛ إذ يُعدُّ المسجد المؤسسة الأولى والأساسية للتعليم في الإسلام، وهذا الأمر لا شك فيه؛ إذ إنَّ المطالع للسيرة المباركة للنبي الخاتم صلوات الله عليه وآله يلحظ مسجده الشريف احتضن ثلثة من كبار الصحابة المنتجبين ممن حفظوا للأمة دينها، ثمَّ تتابعت الأجيال بعد ذلك حتَّى تظهر ذلك العطاء والنفعة في المؤسسات الدينية ومنها الحوزات العلمية الشريفة في عصرنا هذا.

وعليه نلحظ هذا الأثر النبوي الشريف واضح في فكر الإمام علي عليه السلام حين قال: (المسجد بيت كلِّ تقيٍّ، وقد ضمن الله لمن كان المسجد بيته: الروح والرحمة والجواز على الصراط إلى رضوان الله)، والمتأمل هنا يلحظ الدلالات التربوية والروحية البالغة التي يتمتّع بها المسجد من حيث إنَّها تحصن المسلم من الانحراف وتعالج ما وقع منها في فكره وسلوكه، ويمكن الانتفاع من هذا النصِّ الشريف في ثلاثة محاور رئيسة:

**أولاً:** المسجد بيت التقيِّ: ويبدو للباحث أنَّ المقصود هنا أنَّ المؤمن الصادق يجعل المسجد موطنه الروحي ومصدر صفائه، فلا يميل مع كلِّ طارئ من توجهات غريبة وأفكار منحرفة، فالؤمن مرتبط بالله سبحانه عبر العبادة والعلم والذكر، وعليه فالمسجد ليس مكاناً للجسد فحسب؛ بل هو مأوى للقلب والعقل؛ إذ يطهّر النفس من الغفلة، ويغرس فيها القيم النبيلة والمبادئ الإسلامية الأصيلة.

تتجلّى الأهميّة المحوريّة للمسجد في بناء الإيمان والمحبة والتحصين، وهو ما أشارت إليه الآيات الكريمة؛ إذ قال تعالى: ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ (التوبة: ١٠٨)، يُقسم الله عزّ وجلّ بمسجدٍ أُسِّسَ على التقوى؛ لأنّه يجمع رجالاً يُحبون التطهر من الذنوب والأرجاس؛ إذ إنّ للطهارة (هنا معنى واسعاً يشمل كل أنواع التطهير، سواء التطهير الروحي من آثار الشرك والذنوب، أو التطهير الجسدي من الأوساخ والنجاسات)°، إنّ هذه البيئّة المؤسّسة على الطهارة والإيمان هي الأساس لبثّ روح الإيمان والمحبة في نفوس المسلمين، لاسيّما وأنّ الصلاة فيه هي عمود الدين ووسيلة قوية لتحسين المسلمين من رذائل الأخلاق والانحرافات الفكرية والسلوكية، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥)

وتتأكد قوّة المسجد في هذا التحسين من خلال دوره في بناء الوحدة الداخليّة القائمة على الإيمان؛ إذ: (لا شيء يؤلّف بين قلوب الناس غير الإيمان بالله سبحانه، فلا الأموال، ولا الهدايا، ولا الملمات، ولا الكتابات، ولا الدعايات، تؤلّف القلوب، كما يؤلّفها حب الله وابتغاء مرضاته .. فالماذيات لا تدخل إلى صميم القلب، وأعماق النفس، لتعمل عملها كما يفعل الإيمان .. فالإيمان وحده هو الذي يؤلّف القلوب، ويجعلها مترابطة بحبل الله)٦، وهذا التآليف الروحي هو جوهر التحسين التربوي. ثانياً: الروح والرحمة: وعدّ الله سبحانه الإنسان المسلم بالروح والرحمة إذ ما اتّخذ المسجد بيتاً، ويبدو لنا أنّ المراد هنا هو المواظبة على الحضور للمسجد، فهذه المواظبة تورث المسلم راحة القلب وسكينة النفس، لأنّها تبقية على صلة دائمة بالله عزّ وجلّ، ومن ثمّ هي مذكرة له بالموعظة والإرشاد وسيرة الصالحين من الأنبياء الكرام والأئمّة الأطهار (عليهم السلام) والعلماء العاملين والرجال المخلصين، وبهذا تجعله يعيش في جوٍّ من الطمأنينة والسكينة الإلهية ممّا ينعكس على فكره وسلوكه اليومي بما يحقق الهدف الأسمى من أصل الوجود الإنساني.

وكل هذا هو مصداق لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، (الرعد: ٢٨)؛ إذ إنّ مصادر القلق والاضطراب كثيرة في حياة الإنسان،

٥ الشيرازي، ناصر مكارم. الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ط ١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٥)، ٦/١٥٣.

٦ الفتلاوي، محمد كاظم "الخطاب الأخلاقي في القرآن الكريم علاقة الإنسان بالإنسان"، مجلة كلية الفقه جامعة الكوفة السنة ١، العدد ١١ (٢٠١٠): ٢٧٢.

ومنها أن الإنسان يصارع في حياته شتى أنواع الهجمات الانحرافية التي تهين وجوده والهدف العالي الذي خلق لأجله ومسيرته نحو التكامل والصفاء، ولكن الإنسان (المؤمن بالله الذي يعتقد أن الهدف من الحياة هو السير نحو التكامل المعنوي والمادي، ويرى أن كل الحوادث تصب في هذا الإطار، سوف لا يحس بالالاهدية ولا يضطرب في المسيرة)<sup>٧</sup>.

ثالثاً: الجواز على الصراط إلى رضوان الله سبحانه: وهنا نلاحظ إشارة رمزية إلى أن المسجد يحفظ المسلم من الانحراف؛ إذ يذكره دومًا بالحق والآخرة، ويغذي روحه بالعلم النافع والموعظة الحسنة، فالمواظب على المسجد يعني أن يعيش في بيئة علمية ومعرفية تجمع الصالحين المصلحين من الناس، فيكون المسلم في حصن اليقظة، ودائرة الطاعة، بعيداً عن مواطن الغفلة وشبهات الفساد، مما يؤهله حين ذاك لعبور الصراط في الآخرة بثبات ورضا. والقرآن الحكيم أكد على هذا المنهج التربوي العلاجي الوقائي من حيث التزام البيئة الصالحة التي تجمع المؤمنين العاملين المتقين، ولما لها من أثر في توجيه الإنسان نحو ترك السيئات والمنكرات وسائر الانحرافات والتزام الخير بكل أنواعه، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩) فنلاحظ هنا توجيهاً للمؤمنين أن يصحبوا الصادقين، وهم أهل الإيثار الذين من أهم وأبرز صفاتهم الصدق في عقيدتهم وقولهم وفعلهم، يؤكد هذا المعنى المفسر القرطبي (ت: ٦٧١هـ) على أن الأمر هو أن يكون المؤمنون مع "الصادقين" في أقوالهم وعهودهم، وفي كل شأن من شؤونهم، وكذلك يجب أن تكون مع الذين صدقوا في مواقفهم وعقائدهم وأعمالهم، في مقابل المنافقين الذين يخالف باطنهم ظاهرهم<sup>٨</sup>.

نعم؛ إذ يتأثر الإنسان بمن حوله بطبيعة الحال، ورفقة الصالحين تُعينه على الثبات على التقوى التي هي سبب رئيس لعلاج الانحرافات كافة.

إذن، هذا الحديث العلوي الشريف - محل البحث - يربط بين تزكية النفس، وطلب العلم، والالتزام بالعبادة، ويجعل المسجد محوراً لبناء الإنسان المتوازن في فكره وسلوكه وروحه، ومن ثم حصناً واقياً من الانحرافات الفكرية والسلوكية.

٧ الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٧/ ٢٩١.

٨ القرطبي، محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن، ط ١ (بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٠)، ٨/ ٢٠٦.

ويؤكد الإمام علي عليه السلام على أهمية العلم وترسيخه في نفس المسلم لما له من أثر كبير على واقعه اليومي من حيث العلاج التربوي المرتجى للأمراض النفسية والسلوكية، فلنحظه عليه السلام يقول: (من اختلف إلى المسجد أصاب إحدى الثمان: آية محكمة، أو أخا مستفاداً، أو علماً مستطرفاً، أو رحمةً منتظرة، أو كلمةً تدلّه على هدى، أو تردّه عن ردى، أو ترك الذنوب حياةً أو خشيةً)؛<sup>٩</sup> والمتأمل في هذا الفكر العلوي الشريف يلحظ بوضوح قيمة حضور المسجد والانخراط في المجتمع التعليمي والعبادي، إذ يُفتح للشباب أو المصلّ الفرص للحصول على ثمان فوائد تربوية وسلوكية، كلّ منها له أثره البالغ في معالجة جانباً من الانحراف الفكري أو السلوكي، وتحليل هذا النص وبيان جواهره التربوية نلحظ الآتي:

١. آية محكمة: استماع الإنسان لتلاوة القرآن الحكيم أو التدبر في آياته المباركة والتزام نهجه الأقوم يزوده بهداية عقلية وروحية كبيرة، ويثمر عن ذلك علاج تربوي يمثل سلاح في مواجهة الانحراف الفكري؛ إذ إنّ المعرفة القرآنية الرشيدة تقوّي الفكر، وتحصّن الشباب ضد الضلالات والأفكار المضللة، وهو مصداق قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الإسراء: ٩) فالقرآن الحكيم يهدي إلى الفكر القويم، ويحصّن الإنسان من الانحراف فهو (الأصلح في كل شيء، وفي كلّ زمان ومكان، ولكلّ إنسان من غير استثناء)<sup>١٠</sup>.
٢. أخ مستفاد: إنّ التفاعل مع أصدقاء صالحين أو حتّى زملاء متعلمين ينمي لدى المسلم فضائل كريمة فيه، وهذه الفضائل تكون تحصين تربوي يعمل على الحد من الانحراف السلوكي وذلك من طريق البيئة الاجتماعية الصالحة التي تحيط به، فالصديق الصالح والزميل المتعلم مرآة للسلوك القويم وهذه من أنعم الرفقة الصالحة، وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٦٩) ونظراً لهذه الصحبة في أماكن العلم والطاعة في الحياة الدنيا فهم معهم في دار واحدة ونعيم واحد يستمتعون برؤيتهم والحضور معهم، لا أنّهم يساؤونهم في الدرجة؛ فإنّهم يتفاوتون، لكنّهم يتزاوون للاتباع في الدنيا والافتداء<sup>١١</sup>.

٩ السيّد البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، المحقق: آغا حسين الطباطبائي البروجردي (قم: الناشر: دار المهر، ١٤٢٢)، ٤/ ٤٣٥.

١٠ مغنية، محمد جواد. تفسير الكاشف (بيروت: دار التبار، ٢٠١٣)، ٥/ ٢٣.

١١ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٥/ ٢٧٢.

٣. علم مستطرف: النضج العقلي الذي لا يمكن أن يثمر إلا بالمعلومات الواردة فيه حتى وإن كانت حكمة صغيرة فهي تُعين الإنسان على التمييز بين الحق والباطل، وبهذا يكون علاجاً تربوياً وحصناً آمناً حين يوسع مدارك المسلم، ويزيد من قدرته على الفهم الواعي والتفكير النقدي، مما يقيه من الانحراف الفكري.

٤. رحمة منتظرة: التعرض إلى مضان اللطف الإلهي وطلبه من أماكنه الكريمة التي أرشدنا إليها تكون باباً لأن ينال الشخص بركة أو فضل إلهي نتيجة حضوره المتفاعل، وبهذا يكون حصناً تربوياً يعزز الجانب الروحي لدى المسلم، وزيادة اليقين الديني، مما يقلل بشكل كبير الميل نحو السلوكيات الضارة المحرمة.

٥. كلمة تدله على هدى: إنَّ سماع نصيحة أو موعظة صادقة من العلماء أو الأقران تهدي إلى طريق الصواب، فتكون علاجاً تربوياً، إذ إنَّها تُعدُّ توجيهاً مباشراً للسلوك الصحيح، وحصناً للمسار الفكري الضال أو المسار العملي المنحرف، وهذا الفكر واضح المعنى في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم: ٢٤ - ٢٥) نعم؛ فالكلمة الطيبة (التي تشمل النصيحة والوعظ) شجرة مثمرة فكما أنَّ الشجرة الطيبة ثابتة لا تُقتلع، وكما أنَّها شاهقة تُرى من بعيد، وتؤتي ثمرها الناضج النافع من دون انقطاع، فإنَّ المؤمن الذي يتكلم بالحسن أو ينصح بالحكمة، فإنَّ قوله راسخٌ ومقبول عند الله عز وجل، ونفعه بالهداية لأخيه المسلم كثوابه مستمر للمتكلم والمستمع<sup>١٢</sup>.

٦. ترده عن ردى: وهنا إشارة واضحة من أمير المؤمنين عليه السلام إلى أنَّ العلم واقٍ من الوقوع في خطأ أو معصية، فيكون حصناً عاصماً للمسلم، وهذا في حقيقته علاجاً تربوياً يعمل على قاعدة: (الوقاية خير من العلاج)، إذ إنَّ الوقاية من الانحراف الفكري أو السلوكي قبل وقوعه أفضل بكثير من الوقوع في شرِّ الانحرافات الفكرية أو السلوكية، ومن ثمَّ العمل على معالجتها فيما بعد، فقطع الطريق من أوله وغلق الباب نهائياً أسلم تربوياً ونفسياً واجتماعياً، وهذا المنهج التربوي العلوي نراه كذلك متناغم هنا مع المنهج التربوي القرآني فكلاهما من

نور واحد؛ إذ قال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ٩)، فالعلم المقصود هنا يشمل أيضًا كل علم نافع، فالعلم الصحيح هو أساس التمييز واتخاذ القرار الصائب، بينما الجاهل يسير في الحياة بلا بصيرة، مهتوك الحصن فيقع في المهالك والمخاطر الدنيوية لعدم إدراكه العواقب.

ومفتاح هذا الدفع للردى والهلاك يؤكده القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، "أولو الألباب" هم أصحاب العقول السليمة الذين يتفعلون بعلمهم، هذا التذكر هو اليقظة والبصيرة التي يحققها العلم، فالعالم يتذكر ويتفعل بالآيات الحكيمة والعبر والشرائع فيعمل بما ينجي، بينما ترى الجاهل يُعرض عن الاستماع أو حضور مجالس العلم والطاعة وإن استمع لا يعمل بما ينجي من الردى فيسير نحو مصيره السيئ من انحراف فكري وسلوكي، قال المفسر ابن عاشور: (الاهتداء إلى الشيء المقصود نواله بالعمل به، وهو مقام العمل، فالعالم بالشيء يهتدي إلى طريقه فيبلغ المقصود بيسر وفي قرب، ويعلم ما هو من العمل أولى بالإقبال عليه، وغير العالم به يضل مسالكه ويضيع زمانه في طلبه، فإمّا أن يخيب في سعيه وإمّا أن يناله بعد أن تتقاذفه الأرزاء وتتتابه النوائب، وتختلط عليه الحقائق فربما يتوهم أنه بلغ المقصود حتّى إذا انتبه وجد نفسه في غير مراده)<sup>١٣</sup>.

يُستدل من ذلك على أنّ المنهج التربوي في فكر الإمام علي (عليه السلام) يُعدُّ امتدادًا أصيلاً للمنهج القرآني في معالجة الانحرافات الفكرية والسلوكية، وفي هذا السياق، تؤكد الآية الكريمة دلالة تربوية واضحة مفادها أنّ العلم يُمثّل النور والبصيرة التي تُرشد الإنسان إلى مسالك النجاة، وتحصّنه من الوقوع في الجهل الذي يُفضي إلى الردى والهلاك في الحياة الدنيا والآخرة على حدٍ سواء.

٧. ترك الذنوب حياءً أو خشيةً: الحضور في دور العلم والعبادة يعزز الضمير ويقوي الحياء الديني والخوف من الله عزّ وجلّ في نفس المسلم، وهذا علاج تربوي فاعل في بناء قاعدة أخلاقية تحصّنه من الانحراف السلوكي؛ لأنّ النفس المؤمنة بفطرتها السليمة تتجنّب الذنوب طواعية؛ لما فيها من آثار لا تقف عند حدود الاستحياء من الناس فحسب؛ بل تطال غضب الله سبحانه وهذا من أسباب الخشية منه سبحانه، والمنهج التربوي القرآني يؤكّد

على هذا الأمر فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾، (الإسراء: ٣٦) "ولا تقف" بمعنى: لا تقل للناس وفيهم ما لا علم لك به، فترميهم بالباطل، وتشهد عليهم بغير الحق، فذلك هو القفو<sup>١٤</sup>، وهذا السلوك بطبيعته مخالف للبحث العلمي الذي أكد عليه القرآن الكريم، والزم به من اتبعه؛ إذ نهاه أن يقول (ما لم يسمع، أو ما لا يقوم على علم، أو يتحدث عن أشياء لم يرها؛ إذ العلم وحده هو الميزان دون اتباع الظن والوهم والحدس، أو الاعتماد على الشك والإشاعة؛ لأنَّ سبيل الاعتماد على هذه المصادر يؤدي إلى آثار خطيرة على حياة الفرد والمجتمع)<sup>١٥</sup>، وعليه الإنسان الصالح على وفق هذا المنهج التربوي الإسلامي يتجنب الدخول في ذنوب القذف والظلم؛ إذ يتركها استحياءً وحياءً من التبعات الدنيوية والأخروية.

يبدو لنا أنَّ هذا الجزء يمثل الدافع الأساسي للتحصين ضد ارتكاب الذنوب. إنَّه يشمل بناء الإنسان على أساس من:

الخشية من الله سبحانه: وهي تمثل الدافع الداخلي للتحصين.

الاستحياء من الناس: وهو يمثل الدافع الخارجي للتحصين.

وكلا الدافعين يعملان معاً كحصن تربوي متكامل يحمي الفرد من أي انزلاق أخلاقي.

والمأمل في العلاجات التربوية في أعلاه يظهر له جلياً أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قد ربط العلاج

التربوي للانحراف من حيث:

أولاً: الجانب الفكري: وذلك عبر معارف القرآن الكريم، والعلم المستفاد، والكلمة

الهادية كلها تقوي الفكر، وتجعله مرجعاً للتمييز بين الحق والباطل، وهذه غاية عظيمة لها

أثرها الكبير في أعمال ومن ثمَّ تحصين العقل بوجه الضلالات.

١٤ ابن منظور، محمَّد بن مكرم. لسان العرب، ط ٣ (بيروت: دار صادر، ١٤١٤)، ٩/ ٣٦٠.  
١٥ الفتاوى، محمَّد كاظم "العلم في المفهوم القرآني"، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، كلية التربية، جامعة القادسية المجلد ٩، العددان ٣-٤ (٢٠١٠): ٧١.

ثانيًا: الجانب السلوكي: من حيث الصحبة الصالحة (أصدقاء أو زمالة)، تردّ الإنسان عن الرذائل، وتعزيز الحياء والخوف من الله، كلها أساليب وقائيّة تحصنه ضد الانحرافات.

ثالثًا: الجانب الروحي: متمثلاً بالرحمة المنتظرة والفيوضات الإلهية جرّاء الحضور في المسجد يعززان التوازن النفسي، ويحفزان المسلم على الالتزام الديني الذي يحصنه من الانحراف.

بعد كل ما تقدّم، يمكن القول بضرر قاطع أنّ حديث الإمام علي عليه السلام يمثل خارطة طريق عمليّة لتربية المسلم، ويُفهم من هذا أنّ المسجد ليس مجرد مكان للصلاة أو صومعة للطقوس والانعزال وحسب؛ بل هو بيئة تعليميّة وحضاريّة أساسيّة لتحصين الفرد من الانحراف الفكري والسلوكي، ويتأكّد ذلك من أنّ (الشخص الذي لديه اتجاهات إيجابيّة صحيحة وتم تربيته على الصواب، فإننا نعتقد أنّه سيسلك الطريق الصحيح إذا ما توفّرت له الظروف المناسبة لهذه المواقف، وبالمقابل فإنّ الشخص الذي يحمل أفكارًا وعقائد سلبية عن الآخرين، وجرى التغيير به فإنّه سيسلك اتجاهات عدائيّة تجاههم، ما يؤوّل إلى أن يصدر منه سلوكًا مؤذيًا نحوهم)<sup>١٦</sup>.

وأنّ الفرص الثمانية التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام تمثل أساليب تربويّة متكاملة للتحصين: علميّة، اجتماعيّة، أخلاقيّة، وروحيّة.

ولما كان المسجد بهذه الأهميّة فينبغي على المسؤولين الاهتمام به وأن يتولى مسؤوليّته أهل الكفاءة والمقدرة والدراية، وبالتالي يُعد المسجد صمّام الأمام للأمة من أي انحراف يطرأ.

وتجدر الإشارة أنّ التطبيق العملي لهذه العلاجات التربويّة لا يقتصر مجالها على المسجد فقط، وإنّما يشمل كلّ مؤسّسة تعليميّة تربويّة في زماننا المعاصر، فعلى المدارس والمراكز التربويّة والشبابيّة توجيه المسلم ولا سيّما فئة الشباب للمشاركة في الأنشطة التعليميّة والعباديّة، وتوفير الصحبة الصالحة والتوجيه الرّبانيّ ممّا يقوي مقاومتهم للانحراف وتحصنهم فكريًا وسلوكيًّا.

نعم؛ إنّ للجامعات والمعاهد المختصّة بالعلوم الشرعيّة دورًا مهمًّا في الدعوة إلى الله عزّ وجلّ وتحصين الشباب من الانحراف؛ إذ تقوم بوظيفة أساسيّة في تأهيل الدعاة إلى المعاني

١٦ الفتلاوي، محمد كاظم "النقد القرآني للانحراف العقلي والعقدي"، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانيّة. السنة ١١. العدد ٢١ (٢٠١٧): ٧١.

السامية لدينا الحنيف؛ إذ إنَّ (المتصدِّي للدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ وتبليغ دين سيِّد المرسلين ﷺ والواعظ بقيم الصلاح ومكارم الأخلاق أن يكون متعظاً بما يقول من بيانات عاملاً بما يرشد إليه، وإلا فإنَّ النتيجة تكون عكسيَّة فيهجر الناس الدين وتبور الثمار، فأقبح العظات عظة الواعظ غير المتعظ، فهو معول هدم في بناء العقيدة في نفوس المدعوين)<sup>١٧</sup>.

ولا غرو أنَّ منهج الإمام علي عليه السلام له أصوله القرآنيَّة فهو ربيب القرآن وعدله، ومن ثمَّ فهو عليه السلام ترجمة للمعاني القرآنيَّة السامية في واقع الحياة العمليَّة، فنلاحظ أنَّ القرآن الكريم أكَّد على أهميَّة العلم وقيمه الكبرى على حياة الإنسان، فقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، (الزمر: ٩)، فهذه الآية الكريمة (توضح أحد شعارات الإسلام الأساسيَّة، وهو سمو وعلو منزلة العلم والعلماء في مقابل الجهل والجهلة)<sup>١٨</sup>، فهؤلاء العلماء بالمعارف السامية في حصن منيع عن تجاذبات الهوى والانحرافات الفكرية والسلوكية بخلاف الجهلاء الذين هم في عرضة دائمة للوقوع في الشبهات الفكرية والتخبط في السلوك المشين.

وفي نهاية هذا المطلب نرى من الضرورة بمكان القول إنَّ العلم في فكر الإمام علي عليه السلام ليس غايةً في ذاته؛ بل هو وسيلةٌ للإصلاح، وعامل تحصين من الانحراف؛ إذ لا قيمة للعلم ما لم يتحوَّل إلى عملٍ وسلوكٍ واقعيٍّ يتمثله الإنسان المسلم في حياته اليوميَّة وفي كلِّ موافقها فيكون موجهاً له نحو الفضيلة، ومن أهمِّ تجليات الفضيلة هي الحكمة التي من أهميَّتها كانت في فكر الإمام علي عليه السلام غاية ما يجهد المؤمن نفسه في البحث عنها.

والتأمل في فكر الإمام علي عليه السلام يلحظ أنَّ الأهمَّ عنده ليس كثرة العلوم النظرية الصرفة، فهي لا تغني عن السلوك الحسن والسيرة الخيرة والعمل الصالح، فالمعيار عنده هو الأحسن لا الأكثر، فالتربية التي تعتمد الكميَّة في أساليبها لا تجدي نفعاً ولا تثمر ينعماً ولا تحصن فرداً، ما دامت لا تستند إلى الكيفيَّة والنوعيَّة، وهذه النوعيَّة يجب أن تقترن بالعلم الداعي إلى التغيير والنمو في شخصيَّة الفرد والمجتمع، كما يقول عليه السلام: (لا تجعلوا علمكم جهلاً ويقينكم شكاً، إذا

١٧ الفتلاوي، محمد كاظم "الدعوة إلى الله دراسة قرآنيَّة في الاساليب والنتائج" مجلة العقيدة، العتبة العباسية المقدسة العدد ٣٤ (٢٠٢٥): ١٧٣.

١٨ الشيرازي، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٧/١٥.

علمتم فاعملوا وإذا تيقنتم فأقدموا)<sup>١٩</sup>، فأمر المؤمنين عليه السلام يرى أن العلوم الكثيرة المجردة من الإيمان (لا تغني ولا تعوض عن العمل وحسن الاتجاه والسيرة الخيرة، فالإمام عليه السلام لا يريد العلم من أجل العلم أو أجل شيء آخر إنما يريد من أجل التغيير والتبديل والنمو؛ لذلك لم يؤمن بالكميَّة على حساب النوعيَّة والكيفيَّة)<sup>٢٠</sup>.

وعليه قد كان الأهم في فكر الإمام علي عليه السلام هو العلم النوعي المقرون بالحكمة الفاعلة في شخصيَّة الإنسان، إذ قال عليه السلام: (الحكمة ضالة المؤمن، فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق)<sup>٢١</sup>، وفي تأكيد ذلك قال عليه السلام أيضًا: (خذ الحكمة أنى كانت، فإنَّ الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجج في صدره حتَّى تخرج فتسكن إلى صواحبها في صدر المؤمن)<sup>٢٢</sup>، فلنحظ أن الحكمة عند الإمام علي عليه السلام تتجلى في كونها "ضالة المؤمن" التي يجب البحث عنها حتَّى عند غير أهلها، وتستند إلى أسس أخلاقيَّة مثل العقل والصدق والحلم والعدل، وتُجسد في أقواله الشاملة التي تغطي جوانب الدين والدنيا، من أبرز معالم الحكمة لديه: الأخذ من أي مصدر للحكمة، ربط العقل باللسان، تقوى الله كأعلى غنى، والعلم النافع كأفضل العلم، والجمال في الخلق.

وللحكمة معاني كثيرة، ومن أجل صورها هو وضع الشيء في موضعه، سواء السداد في القول أو الفعل، إذا ما علمنا أن أصل الحكمة (ما يمتنع به من السفه، فليل للعلم حكمة؛ لأنه يمتنع به، وبه يعلم الامتناع من السفه وهو كلُّ فعل قبيح)<sup>٢٣</sup>.

وقد ذكر الله سبحانه الحكمة في مواضع كثيرة من كتابه العزيز مرادًا بها ما فيه صلاح النفوس وتربيتها، من النبوءة والهدى والإرشاد، وقد كانت الحكمة تطلق عند العرب على الأقوال التي فيها إيقاظ للنفس ووصاية بالخير، وإخبار بتجارب السعادة والشقاوة، وكليات جامعة لجماع الآداب.. وذكر الله تعالى في كتابه حكمة لقمان ووصاياه في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ

آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ (لقمان: ١٢)

١٩ المعتزلي، نهج البلاغة، ١٦٤.

٢٠ المسيليني، زهير؛ بسندي، فائزة "المنهج التربوي في فكر الإمام علي عليه السلام، المبادئ والأهداف"، مجلة أوراق ثقافيَّة السنة ٦، العدد ٣١ (٢٠٢٤): ٣٢.

٢١ المعتزلي، نهج البلاغة، الحكمة: ٨٠.

٢٢ المعتزلي، الحكمة: ٧٩.

٢٣ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣/ ٣٣٠.

وللحكمة تفصيلات كثيرة عند أهل العلوم والفنون، إلا أن الذي يهمنها هو الحكمة في نظر الدين، وهي فيه على أربعة فصول:

أحدها: معرفة الله حق معرفته، وهو علم الاعتقاد الحق، ويسمى عند اليونان العلم الإلهي أو ما وراء الطبيعة.

الثاني: ما يصدر عن العلم به كمال نفسية الإنسان، وهو علم الأخلاق.

الثالث: تهذيب العائلة، وهو المسمى عند اليونان علم تدبير المنزل.

الرابع: تقويم الأمة وإصلاح شؤونها وهو المسمى علم السياسة المدنية، وهو مندرج في أحكام الإمامة والأحكام السلطانية. ودعوة الإسلام في أصوله وفروعه لا تخلو عن شعبة من شعب هذه الحكمة<sup>٢٤</sup>.

وعليه كان من يتمتع بهذه الفضيلة فقد حاز الخير الوافر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٦٩). وبهذا يمكن التمييز ما بين الذكاء والحكمة، في أن الذكاء يعبر عن معرفة الشيء؛ ولكن الحكمة تعبر عن القدرة على الحكم ما إذا كان الشيء مقبولاً القيام به أم لا.

إذن للحكمة آثار ولمسات تحصن الإنسان المتصف بها، وتظهر على شخصيته، وقد أشار جملة من الباحثين إلى آثارها في معالجة الانحرافات الفكرية والسلوكية<sup>٢٥</sup>، وقد أكد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من ذي قبل على هذه الآثار التي تبدو للباحث في الآتي:

١. تلقيح العقل: من أول إمارات الحكمة على الإنسان الحكيم عقله الذي يتصف بالذكاء وسعة الاطلاع والنضوج العقلي والآراء الراجحة والأفكار المستنيرة والنظرة البعيدة في الأمور، وهذا الأمر واضح في فكر الإمام علي (عليه السلام) في قوله: (العقل غريزة تزيد بالعلم والتجارب)<sup>٢٦</sup>، وهذا النص صريح في أن تلقيح العقل يكون بالعلم والتجربة، لا بمجرد الموهبة الفطرية.
٢. معرفة العبر: تجعل الإنسان قادراً على انتزاع المواعظ والدروس والتجارب من الأحداث

٢٤ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ٢/ ٥٣٢.

٢٥ الفتلاوي، محمد كاظم. الأثر القرآني في فكر السيد السيستاني - دراسة تربوية في النصائح الاجتماعية للشباب المؤمن (كربلاء المقدسة: دار الوارث للطباعة والنشر، ٢٠٢٥)، ٢/ ٢٤٠.

٢٦ الريشهري، محمد. ميزان الحكمة (قم: دار الحديث، ١٤٢٢)، ٣/ ٢٠٥٠.

الماضية على اختلافها وتعددتها، يقول الإمام علي عليه السلام: (التجربة تثمر الاعتبار)<sup>٢٧</sup>، وقد قيل للقيمان الحكيم مَن تعلمت الأدب؟ قال: (من قليلي الأدب؛ وذلك أَنِّي كَلَّمَا رأيت أحدهم أساء التصرف في أمر من الأمور اجتنبت فعله حتَّى لا أبدو في نظر الآخرين مثلهم)<sup>٢٨</sup>، ويقول الإمام علي عليه السلام: (الاعتبار يثمر الحكمة)<sup>٢٩</sup>، ويقول أيضًا عليه السلام: (فمن أبصر الفطنة عرف الحكمة، ومن تأوَّل الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة عرف السُنَّة، ومن عرف السُنَّة فكأنَّها كان مع الأوَّلين واهتدى إلى التي هي أقوم)<sup>٣٠</sup>.

٣. ضعف الشهوة: فإذا كان التغلب على الشهوة من عوامل حدوث الحكمة في الإنسان فإنَّ ضعف الشهوة وموتها يكون نتيجة وثمره لتلك الغلبة، يقول الإمام علي عليه السلام: (كلما قويت الحكمة ضعفت الشهوة)<sup>٣١</sup>، والمقصود بضعف الشهوة هو وضعها في إطارها الصحيح المحدد من قبل الشرع المقدس.

٤. الوقار والهيبة: فالحكمة تُلبس الإنسان لباس الهيبة في عيون الناس، إذ تجعله كبيرًا في نظرهم ومحترمًا مكرمًا لديهم، يقول الإمام علي عليه السلام: (من عُرِف بالحكمة لحظته العيون بالوقار والهيبة)<sup>٣٢</sup>.  
٥. المعرفة: مَن يكون حكيماً يكون دائم الفكر، ويكون ذلك من العمل الخالص لله سبحانه، يقول الإمام محمَّد الباقر عليه السلام: (مَن عمل بما يعلم علمه الله ما لا يعلم)<sup>٣٣</sup>، فهي نتيجة توصل إليها من طريق تفكيره، كما قال الإمام علي عليه السلام: (العلم أوَّل دليل، والمعرفة آخر نهاية)<sup>٣٤</sup>.

٦. العصمة: الحكمة بما ضُمَّت من مقدّمات لاستحصائها عند الإنسان لا سيّما فيما يتعلّق بالتجارب فهي تكون عاصمة له من الانزلاق في الأخطاء وتكرارها، قال الإمام علي عليه السلام: (قرنت الحكمة بالعصمة)<sup>٣٥</sup>، فمتى ما كانت الحكمة كانت العصمة وهي الحصن الحصين. وعليه، يتجلّى تأكيد أمير المؤمنين علي عليه السلام على الحكمة بوصفها غاية عظمى في تحصين

٢٧ الريشهري، ١/٣٧٦.

٢٨ يوسف، محمَّد خير رمضان. لقمان الحكيم وحكمه (سوريا: دار القلم، ١٩٩٩)، ١٤٤.

٢٩ الريشهري، ميزان الحكمة، ٣/١٨١١.

٣٠ الكليني، محمَّد بن يعقوب. الكافي، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، ط ٣ (طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٧)، ٥١/٢.

٣١ الريشهري، ميزان الحكمة، ٤/٣٤٨٤.

٣٢ ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي. تحف العقول (بيروت: مؤسّسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٢)، ٩٧.

٣٣ الريشهري، ميزان الحكمة، ٣/٢١٠٧.

٣٤ الريشهري، ٣/٢١٠٧.

٣٥ الريشهري، ٣/١٩٩٨.

المسلم؛ إذ تُمثّل المنهج العملي لاجتناب رذائل الأخلاق والتخلي عن ذميمها، وكذا فإنّها الطريق لاكتساب مكارم الأخلاق والتحلّي بالأداب العالية والسلوكيات الحسنة، إنّ الحكمة، بهذا المعنى الشامل، هي بحق الحصن التربوي الذي لا غنى عنه لتحقيق الاستقامة والفوز بسعادة الدارين.

### المطلب الثاني: القدوة الحسنة وأثرها في توجيه الناس والشباب

الْقُدْوَةُ وَالْقِدْوَةُ فِي اللُّغَةِ: الْأَسْوَةُ، يُقَالُ: فَلَانٌ قَدْوَةٌ يُقْتَدَى بِهِ، وَالْقِدْوَةُ: الْمِثَالُ الَّذِي يَتَشَبَّهُ بِهِ غَيْرُهُ، فَيَعْمَلُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ<sup>٣٦</sup>.

وبما أنّ القدوة هي الأسوة؛ إذ إنّ تعريفات العلماء تقتصر دائماً على تعريف الأسوة على أنّها القدوة لاتفاقهما في المعنى، وقد عرّفها الراغب (ت: ٥٠٢هـ) في المفردات فقال: (الأسوة والإسوة كالقدوة، وهي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسناً وإن قبيحاً، وإن ساراً وإن ضاراً)<sup>٣٧</sup>.

وقدّمت القدوة هنا (بالحسنة) لتخرج القدوة السيئة، فقد يكون الشخص أسوة حسنة أو أسوة سيئة، وقد جاء في الحديث النبوي الشريف: (من سنَّ سنةً حسنةً فله أجرها، وأجر من عمل بها، من غير أن ينقص من أجورهم)<sup>٣٨</sup>، وفي هذا المعنى قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (ما من مؤمن سنَّ على نفسه سنةً حسنةً أو شيئاً من الخير، ثمَّ حال بينه وبين ذلك حائل، إلّا كتب الله له ما أجرى على نفسه أيام الدنيا)<sup>٣٩</sup>.

وفي البعد التربوي ومعالجاته الفكرية والسلوكية يؤكد الإمام علي عليه السلام أنّ القدوة العملية أبلغ من آلاف المواعظ النظرية، وهذا لا يختلف عليه العقلاء جميعاً، وأنّ الإنسان بطبيعته يميل إلى المحاكاة والاقتراء أكثر من الاستماع والتلقّي، ومن هنا، فإنَّ وجود النموذج الصالح في محيطه هو من أهمّ المعالجات التربوية للانحراف الفكري والسلوكي، وهو كذلك عامل وقاية منها. ولهذا السبب أكد أمير المؤمنين عليه السلام على الإنسان القدوة أن يكون أهلاً لما يدعي وبقدر

٣٦ ابن منظور، لسان العرب، ١٥ / ١٧١، مادة (قدأ).

٣٧ الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي (دمشق: دار القلم، ١٤١٢)، ٧٦.

٣٨ الكليني، الكافي، ٥ / ٩.

٣٩ الحر العاملي، محمد بن الحسن. وسائل الشيعة (قم: مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث)، ١٦ / ١٦٤.

حجم مسؤوليته؛ إذ قال (عليه السلام): (من نصب نفسه للناس إماماً، فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته، قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها، أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم)؛<sup>٤٠</sup>، والمتأمل في هذا الفكر العلوي الشريف يلحظ أنه يتضمن ثلاثة أمور تربويّة مهمّة تكفل بتوضيح أبعاد مسيرة الحياة في جوانبها ومستوياتها كافة؛ لأنّ الناس بطبيعتهم البشريّة مختلفون في أغراضهم وأهدافهم وطموحاتهم بما يعقد الحالة ويضيع مفتاح الحل، فمن المناسب في مثل هذه الحالة هو إعطاء الحلول الصحيحة لإنقاذهم من مشكلات فكريّة وسلوكيّة تؤدّي بهم إلى الضلال والفوضى؛ لما يتعرّضون له حتمًا على وفق اختلاف أهوائهم وطبائعهم، وعليه على الإنسان القدوة في فكر الإمام علي (عليه السلام) أن يتحلّى بالآتي:

أولاً: أن يطبّق الإنسان القدوة (المرشد) ما يقوله، فلا يكتفي بترتيل النصائح من دون أن تنعكس آثارها على سلوكه، فإذا روض نفسه بالآداب أمكنه بسهولة تأديب غيره وترويضهم وحثهم على اتباع ما يقول من نصح، وأمّا إذا لم يطبق ذلك على نفسه لا يمكن بحال أن يرى ثمار كلامه على الآخرين؛ لأنّهُ بطبيعة الحال الأولى بالتطبيق؛ لأنّهُ قد تبنى الدعوة ورافع رايتها فلا بدّ من أن يكون متفاعلاً معها وإيجابياً وإلا لما دعي إليه!

ثانياً: أن يكون الإنسان عملياً فيما يُنظر من تعاليم إرشاديّة وما يبدي من اطروحات أخلاقيّة، وآراء جادّة لخدمة الإنسانيّة ليكون الاقتداء به، والفهم لجدوى ما يطرح من موقع التنفيذ والتجربة الناجحة لا مجرد نظريات مجردة عن الواقعيّة، أو مثاليات لا سبيل لها إلى التمثل بواقعنا اليومي، وعليه فإنّ هذا التطبيق العملي سبب رئيس لاستجابة المتلقي وأوفر نصيباً للقبول.

ثالثاً: وهو مهم جدّاً للأخذ بالنقطة الأولى والثانية، أن من يفرض سيطرته على نفسه ويتحكّم بها فيروضها على وفق ما يقوله ولا يجعلها بمعزل عن كلّ ذلك، ولا يضعها في حصانة خاصّة، ولا يهملها لتعمل ما تشاء؛ بل يراقب نفسه بنفسه ويتابع سلوكه فيكون آن ذاك قد تمكّن من إنجاز شيء عظيم يستحق من خلاله الإجلال والإكبار والتقدير والتوقير أكثر من غيره من الواعظين أو المتسلطين ممّن يدعون غيرهم إلى مكارم الأخلاق واجتناب

رذائلها وينسى نفسه، فيستهلكون جهودهم مع الآخرين ولا يكلفون أنفسهم ذلك الجهد في صلاح أنفسهم ليعودها على محاسن الأخلاق ومكارمها.

فمراد أمير المؤمنين عليه السلام أن لا يتصدّر أحد من الناس إلى الوعظ والإرشاد إلا إذا تمّت فيه المواصفات التي تجعله لاثقاً بالقيادة والزعامّة فيكون أهلاً للقُدوة الحسنة، وخلاف ذلك فيحكم عليه سلفاً بالفشل وعدم النجاح في تهذيب غيره.

ونلتمس أيضاً من الهدي العلوي الشريف أن لا يغتر الإنسان بأحد الشخصيات المعيّنة لمجرد حديث وتصرف؛ بل لا بدّ من أن يطابق المتلقي ما بين ما تقوله تلك الشخصية للآخرين وما تفعله تلك الشخصية، فإن كان المتكلم ممثلاً لما يقوله في نفسه عرف حينها بصدقه وأمانته، وإذا كان مخالفاً فالعقل يحكم عليه بالكذب وعدم المصداقيّة والواقعيّة، وذلك لو كان ما يدعو الناس إليه حقاً فلماذا لا نراه في سلوكه؟ نعم؛ السيرة قبل القول القائل، فيجب أن يكون سلوك - المعلم أو القائد أو المربي - وأفعاله أولى من أقواله في التأديب والتوجيه.

وبما أنّ الإنسان أبصر بنفسه من غيره فيما لها وما عليها فيجب أن يحصن نفسه بنفسه ويختار لها أصلح العلاجات، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (وأعملوا أنّه من لم يعن على نفسه حتّى يكون له منها واعظ وزاجر لم يكن له من غيرها لا زاجر ولا واعظ)<sup>٤١</sup>، ويقول عليه السلام أيضاً: (ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ)<sup>٤٢</sup>.

وعليه إنّ إصلاح النفس يتطلب من الإنسان رؤية واضحة لمسيرة حياته، وتحديدًا دقيقاً لأهدافه فيها ضمن الحدود الشرعيّة، ومراقبة دقيقة لنفسه، فيما تهوى وتحب، وفيما تبغض وتنفر، وفيما تنجذب إليه، وتنكشم منه، فيروضها في إرادة الله عز وجل ويسلم لها تسليماً، وأن يعد على نفسه زلاتها، ويحصي عليها نواقصها، ثمّ يعمل على إزالة العيوب، ومعالجة الأمراض النفسيّة، وإكمال النواقص... وهذا لا بدّ له من إرادة قويّة ذاتية في إرادة الله عز وجل، وعزيمة ماضية، ونية صادقة، وطريقة تربويّة سليمة... فإذا تحقّقت هذه المستلزمات

٤١ المعتزلي، خطبة: ٩٠.

٤٢ المعتزلي، قصار الحكم: ٨٩.

فقد وضع الإنسان نفسه على جادة الصواب وركب سفينة النجاة، وحينئذ يبدأ بالارتقاء في سلم الكمال رويداً فيكون أهلاً للاقتداء... ولا بدَّ أن نعلم أنَّ هكذا طريق لا يكون معبد بالزهور، أو خالياً من الاشواك فهو طريق طويل، ومسير صعب لا يستمر به إلا ذو الهمم العالية وأصحاب النفوس السامية والعقيدة الراسخة، والإرادة القويّة، والعزم الذي لا يتزلزل عند منعطفات الهوى ووسوسة الشيطان.

وهذا الشكل في القدوة الحسنة ممَّا أدب عليه الإمام جعفر الصادق عليه السلام شيعته، وأمرهم بالتزام الفعل قبل القول والتمثل بالتقوى قبل الادعاء بها، فقال عليه السلام: (كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد)<sup>٤٣</sup>.

ولا غرو أن يكون هذا أدب أهل البيت عليهم السلام في بناء القدوة الصالحة في المجتمع، فهو أسلوب تربوي ربّاني، أكّد عليه القرآن الكريم في موطن صريح إذ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١) أي أن النبي الخاتم عليه السلام خير نموذج للمسلمين للاقتداء به عليه السلام (وفي كلّ مجالات الحياة، فإنّ كلّاً من معنوياته العالية، وصبره واستقامته وصدوره، وذكائه ودرأته، وإخلاصه وتوجّهه إلى الله، وتسلّطه وسيطرته على الحوادث، وعدم خضوعه وركوعه أمام الصعاب والمشاكل، نموذج يحتذى به كل مسلم)<sup>٤٤</sup>.

إذن القدوة الحسنة تفتح الطريق أمام المسلمين والشباب منهم ليعيشوا معنى الإيمان واقعاً محسوساً، لا مفهوماً مجرداً، وبذلك تتحقّق التربية الصالحة بالفعل قبل القول ويصيب العلاج هدفه من الانحراف فيقومه، وعليه تظهر أهميّة أسلوب (القدوة الحسنة) في التحصين التربوي الإسلامي من أمور عدّة، منها:

١. جعل الله عز وجل لعباده أسوة عمليّة في الرسل والصالحين من عباده، ولم يكتف بإنزال الكتب عليهم، فأرسل الرسل، وقصّ على المؤمنين قصصهم وعرض سيرتهم ثمّ أمر باتباعهم، والاقتداء بهم، فقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾ (الانعام: ٩٠)
٢. أن من طبيعة البشر وفطرتهم التي فطرهم الله عليها أن يتأثروا بالمحاكاة والقدوة،

٤٣ الكليني، الكافي، ٢ / ٧٨.

٤٤ الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٣ / ١٤١.

أكثر مما يتأثرون بالقراءة والسماع، ولا سيما في الأمور العملية، ومواقف الشدة وغيرها وهذا التأثير فطري لا شعوري في كثير من الأحيان.

٣. أن أثر القدوة عام يشمل جميع الناس على مختلف مستوياتهم، حتى الأمي منهم، فبإمكان كل امرئ أن يحاكي فعل غيره، ويقلده ولو لم يفهمه ومن هنا كان فضل العترة الطاهرة من آل محمد ﷺ لا يعدله شيء، وكان إنكار الله عظيمًا على من يخالف قوله عمله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: ٢)

ولابد للإنسان الجاعل من نفسه داعيًا أن يتحلَّى بالأخلاق الإسلامية حتى يكون قدوة حسنة لغيره فلا يمكن أن يدعو إلى خلق ويأتي غيره، أو أن يأمر برشد ويعمل بالغي، والقرآن الحكيم حذّر من هكذا تناقض وفوضى عند من يقولون ما لا يفعلون؛ إذ إن الأثر يكون عكسي على المتلقي، فقد قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ٤٤)، فالآية الكريمة توضح أن (منهج الدعاة إلى الله يقوم على أساس العمل أولاً ثم القول)<sup>٤٥</sup>، ولا يمكن أن يكون الداعي مقبولاً لما ينصح به ما لم يتمثل بما يقوله في سلوكه العملي، وإلا فهو فاقد لعنصر مهم في التأثير وهو عنصر القدوة الحسنة. ومن هنا، يتضح لدينا أن دين الإسلام قد وضع قواعد نظرية متكاملة تنطلق من خلالها التربية الأخلاقية، وهي تقود (المكلف الفرد والمجتمع إلى الفضائل الأخلاقية والسلوكيات النبيلة في أحسن ما تكون عليه)<sup>٤٦</sup>، هذا التكامل هو أمر نابع من طبيعة رسالة الإسلام التي هي في جوهرها رحمة للعالمين، وعليه، تبرز أهمية القدوة الحسنة كآلية عملية لتجسيد هذه القواعد، وما على العلماء والمفكرين والباحثين والمصلحين إلا الاجتهاد في شرح تلك القواعد وتفصيلها وتجسيدها في سلوكهم ودعوة الناس إلى الالتزام بما شرعه الله تعالى لعباده.

٤٥ الشيرازي، ١/١٤٣.

٤٦ الفتلاوي، محمد كاظم "معالم تربوية أخلاقية في فكر السيدة الزهراء (ع) - مقارنة قرآنية تفسيرية"، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، وقائع المؤتمر العلمي السنوي الرابع والعشرون، للمدة ١٣، ٢٠٢٤، ٧٨.

### المطلب الثالث: دور العلماء الربّانيين في التوجيه والإصلاح

إنَّ المتبوع للمنهج التربوي والإصلاحي لدى أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام يدرك بوضوح تلك المنزلة العظيمة التي يوليها للعلماء الربّانيين في المجتمع، فهم ورثة الأنبياء وأمناء الدين، ومن طريقهم يتمُّ:

صيانة الفكر وحفظ الحرمات.

تهذيب الأخلاق.

تحصين المنظومة الإسلاميّة من كلّ فوضى أو عبث.

وقد عدَّهم الإمام عليٌّ عليه السلام الدعامة الأساسيّة في عمليّة صد الانحراف؛ كونهم يضطلعون بمهمّة توجيه الناس والشباب عبر تزويدهم بالعلم النافع والحكمة الحسنة، ممّا يشكل الدرع الأوّل للتحصين المجتمعي.

ولهذه القيمة الكبرى للعلماء كانوا أكثر الناس معرفة بالله عزّ وجل، فقال عنهم القرآن الكريم واصفًا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨) وذلك أنّ العلماء هنا هم الذين أتوا علمًا صحيحًا بالله سبحانه وبشريّته، وليس فقط العلوم الدنيويّة، وهذا المعنى نلاحظه في قول المفسر محمّد جواد مغنّية (ت: ١٩٨٠م)؛ إذ قال: (المراد بالعلماء هنا الذين آمنوا بالله عن علم لا عن تقليد، وعرفوا عظمتهم بالأدلة والبراهين، وما من شك أنّ العالم بقدره من لا يقهره شيء ولا يفوته شيء لا ينفك أبدًا عن الخوف منه، ومن ثمّ كان العلماء بالله أشد الناس خوفًا من غضب الله وسطوته، وأكثرهم رجاء لفضله وعفوه.. ونحن من الذين يؤمنون بأنّه لا إيمان حقًا بلا تقوى، ولا تقوى بلا وعي)<sup>٤٧</sup>.

ويرى المفسر ابن عاشور (ت: ١٩٧٣م) أنّ وجه تلازم العلم والخشية في الآية الكريمة فذلك كلما ازداد علم العبد بالله عزّ وجلّ، ازدادت خشية قلبه وخضعت مشاعره، هذا لأنّ العالم الحقيقي يفهم حقائق الأمور، ومن ثمّ يدرك عواقب مخالفة تعاليم السماء<sup>٤٨</sup>.

وأوضح من هذا المعنى وبما ينسجم مع دور العلماء الربّانيين في صلاح وتربية المجتمع

٤٧ مغنّية، تفسير الكاشف، ٦/٢٧٩.

٤٨ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ٢٢/١٥٨.

وترتب الخشية فيهم ما قاله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في فهم الآية الكريمة؛ إذ قال: (إنَّ الخوف من الله بمعنى الخوف من المسؤولية التي يواجهها الإنسان، الخوف من أن يقصّر في أداء رسالته ووظيفته، ناهيك عن إدراك جسامته تلك المسؤولية يؤدي أيضًا إلى الخشية؛ لأنَّ الله المطلق قد عهد بها إلى الإنسان المحدود الضعيف، "تأمل بدقّة")<sup>٤٩</sup>.

وبناءً على ذلك، فإنَّ العالم بما يحمله من تكليفٍ رسالي في هذه الحياة، يُعدُّ مسؤولاً عن أداء وظيفة التبليغ والإرشاد، مهما كان مستوى تحصيله الأكاديمي؛ إذ إنَّ جوهر رسالته يكمن في حمل همِّ الدعوة والإصلاح، وهو بذلك يُجسّد بصورة واضحة مفهوم "العالم الربّاني"، ومن هنا، فإنَّ أثره التربوي والمعرفي يمتدُّ إلى سائر أفراد المجتمع، مهما بلغوا من درجات التحصيل العلمي؛ لأنَّ من يسير على نهج العلماء الربّانيين ويتأدّب بأدبهم التربوي الديني يقترب من الله تعالى، وتنشأ في قلبه الخشية التي هي ثمرة العلم الصادق.

وعليه، تتعاطم مسؤولية العالم الربّاني بقدر ما تتزايد التحديات الفكرية والسلوكية التي تواجه الفرد والمجتمع؛ إذ يُعدُّ هذا العالم محور الإصلاح، ومنبع الهداية، في زمن تتعرّض فيه القيم والمبادئ الأصيلة في نفوس المسلمين إلى تهديدٍ وانحرافٍ يستدعي حضوره الواعي وجهده الرسالي المستمر، وقد أكّد الإمام علي عليه السلام على هذه المكانة الرفيعة حين رسم التصنيف المعرفي للناس في قوله عليه السلام: (يا كميل، احفظ عني ما أقول لك: الناس ثلاثة: عالمٌ ربّاني، ومتعلّمٌ على سبيل نجاة، وهمجٌ رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق)<sup>٥٠</sup>.

وفي مورد آخر قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إنَّ الناس أَلوا بعد رسول الله ﷺ إلى ثلاثة: أَلوا إلى عالم على هدى من الله قد أغناه الله بما علم عن علم غيره، وجاهل مدع للعلم لا علم له معجب بما عنده وقد فتنته الدنيا وفتن غيره، ومتعلّم من عالم على سبيل هدى من الله ونجاة، ثمَّ هلك من ادعى وخاب من افتري)<sup>٥١</sup>.

٤٩ الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٥٨/١٤.

٥٠ المجلسي، بحار الأنوار، ١/١٨٨.

٥١ الكليني، الكافي، ٣٩/٢.

ففي ضوء هذا الفكر العلوي الشريف، يظهر أن الإمام عليه السلام جعل العالم الربّاني في قمة الهرم الاجتماعي، إذ يمثّل المرتكز الأساس في تربية الأُمَّة وصيانة فكرها وسلوكها، لما يمتلكه من بصيرة إلهية تؤهله لتقويم الانحراف وإحياء القيم الإيمانية في نفوس الناس. ومن هذه الأهمية التربويّة الإصلاحيّة للعالم الربّاني كانت خسارته خراب للأرض وفساد للمجتمع فالعالم وتد لأهل الدنيا من الزبغ، وهذا المعنى يوضحه الإمام جعفر الصادق عليه السلام عندما سُئل عن قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (الأنبياء: ٤٤) قال: فقد العلماء<sup>٥٢</sup>.

وحقيقة أن هذا الفقد كسر لا يحل مكانه بديل، وأقول نجم لا ينار بغيره، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله في فقد العالم قوله: (موت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسد، وهو نجم طمس وموت قبيلة أيسر من موت عالم)<sup>٥٣</sup>، نعم؛ إنَّ موت العالم الربّاني يترك ثغرة في الإسلام لا يمكن أن يملأها أحد، وذلك لأنَّهم يُعدون ورثة الأنبياء وحاملوا العلم ومبلغي الرشد إلى الناس، فهم الامتداد الطبيعي لمعاني الرسالة وحصن الناس من هجمات الضلال. إنَّ العلماء الربّانيين هم صمّام الأمان في زمن الفتن الفكرية، إذ يجسّدون العلم العامل، ويقودون المجتمع بالحكمة لا بالجدل، فيكونون مرجعاً تربوياً يوجّه الناس وفئة الشباب نحو الاستقامة.

وحيث إنَّ الإمام علي عليه السلام قد استخدم مصطلح "الربّاني" في وصف العالم، وهو استعمال مستمدّ من البيان القرآني، فإنَّ من الضروري الرجوع إلى القرآن الكريم لاستجلاء مفهوم العالم الربّاني ووظيفته في إصلاح المجتمع ومعالجة انحرافات التربويّة والفكرية، فالإمام عليه السلام بلا شكّ أراد توظيف هذا اللفظ بمعناه القرآني الأصيل، الذي يجمع بين العلم الراسخ والعمل الصالح، ليؤكد أن العالم الربّاني هو أداة الهداية والإصلاح، وعماد النهضة الأخلاقية والفكرية في الأُمَّة.

٥٢ الصدوق، محمّد بن جعفر. من لا يحضره الفقيه (بيروت: مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٨٦)، ١/ ١٨٧.  
٥٣ الريشهري، ميزان الحكمة، ٦/ ١٥٥.

وقبل الخوض في بيان وظيفة العالم الربّاني ودوره في البناء التربوي للمجتمع، تبرز الحاجة أولاً إلى توضيح مفهوم العلماء الربّانيين في ضوء النصّ القرآني؛ إذ يشير أغلب الباحثين والمفسّرين إلى أنّ المقصود بهم هم علماء الحكمة والفقه والإصلاح، الذين يجمعون بين العلم والتعليم والعمل، ويُفاد هذا المعنى من تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلَّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران: ٧٩)

يرى المفسّرون أنّ الخطاب القرآني يوجّه إلى المعلّمين والدارسين لكتاب الله بأن يكونوا ربّانيين، أي مخلصين في علمهم، عاملين بما يعلمون، مصلحين في سلوكهم وتربيتهم، ليكون علمهم نوراً يهدي الناس إلى سواء السبيل.

وأنّ أصل ربّاني هو الذي يُربّي الناس بصغار العلم قبل كباره؛ وكأنّه يقتدي بالربّ سبحانه في تيسير الأمور؛ روي معناه عن ابن عباس.

قال بعضهم: كان في الأصل ربّي فأدخلت الألف والنون للمبالغة؛ كما يقال للعظيم اللحية: حليانيّ ولعظيم الجمّة جمّاني، ولغليظ الرقبة رقّبانيّ.

وقال المبرد (ت: ٢٨٥هـ): الرّبّانيّون أرباب العلم، واحدهم ربان، من قولهم: ربّه يرّبّه فهو ربّان إذا دبره وأصلحه؛ فمعناه على هذا يدبرون أمور الناس ويصلحونها، والألف والنون للمبالغة كما قالوا ربّان وعطشان، فمعنى الرّبّاني العالم بدين الرب الذي يعمل بعلمه؛ لأنّه إذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم.

والرّبّاني الذي يجمع إلى العلم البصر بالسياسة؛ مأخوذ من قول العرب: ربّ أمر الناس يرّبّه إذا أصلحه وقام به، فهو راب ورباني على التكثير، قال أبو عبيدة (ت: ٢٠٩هـ): سمعت عالماً يقول: الرّبّاني العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي، العارف بأنباء الأئمة وما كان وما يكون.

وقال السيّد محمّد بن الحنفية (ت: ٨١هـ) يوم مات ابن عباس: اليوم مات رباني هذه الأئمة، وروي عن النبي ﷺ أنّه قال: (ما من مؤمن ذكر ولا أنثى حر ولا مملوك إلّا والله عز وجل عليه حق أن يتعلم من القرآن ويتفقه في دينه - ثمّ تلا هذه الآية - ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ﴾، يقول ابن مسعود (ت: ٣٢هـ): ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّنَ﴾ قال: حكماء فقهاء علماء بعلمكم وتعليمكم؛.

ويلخص لنا هذا المعنى المفسر الشيخ محمد جواد مغنية؛ إذ قال: (كونوا عالمين بكتاب الله، عاملين به، معلّمين إياه لغيركم)<sup>٥٥</sup>، ويبدو ممّا تقدم أنّ سبب القول بـ(رَبَّائِيْنَ) يعود لارتباطهم بالكتاب العزيز الذي يمثّل بدوره المنهج الربّاني الصادر من الله ربّ العالمين المرّبي للناس، يقول المفسر ابن عاشور (ت: ١٩٧٣م): (أي كونوا منسويين للربّ، وهو الله تعالى، لأنّ النسب إلى الشيء إنّما يكون لمزيد اختصاص المنسوب بالمنسوب إليه)<sup>٥٦</sup>.

على كلّ حال يتّضح عبر استقراء سير الرّبّائِيْنَ من أتباع الرسل أنّ رسالتهم كانت خالصةً لوجه الله تعالى، لا يبتغون من دعوتهم ولا من جهادهم وصبرهم جزءاً من حطام الدنيا أو مظهرًا من مظاهر الثناء أو الثراء؛ بل كانت غايتهم السامية تتمثّل في نيل رضوان الله وخدمة دينه، وقد تميّز هؤلاء الرّبّائِيُونَ بسموّ أديهم مع الله تعالى في مجاهدتهم وإرشادهم، فكانوا بحقّ ورثة الأنبياء وقدوة الأتقياء، تستنير بهم العقول، وتزدهر بهم البلدان، وتبعث من خلاهم روح الإيمان وحصن عباد الرحمن.

وقد اصطفاهم الله بمكانة علميّة وروحيّة رفيعة، فجعلهم أكثر الناس خشيةً لله وبركةً على الإسلام؛ إذ نيطت بهم مهمّة استنباط الأحكام الشرعيّة وضبط الحلال والحرام، ومُحمّلوا مسؤوليّة الدفاع عن نقاء الرسالة الإلهيّة، فنفوا عن كتاب الله تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، ودعوا من ضل إلى الهدى، وصبروا على ما لاقوه من أذى في سبيل إعلاء كلمة الحقّ جل وعلا.

أمّا وظيفة العالم الرّبّاني ومهمّته الرساليّة ذات البعد التربوي والإصلاحي في تحصين الأئمة من الضلال والانحراف، فيمكن إجمالها في ضوء التوجيه القرآني، وما ورد في فكر الإمام عليّ عليه السلام الذي استعمل بدوره لفظ "الرّبّاني" في توصيف العالم الملتزم بمنهج الحقّ والهدى في النقاط الآتية:

أولاً: الحكم بين الناس؛ وهذه الوظيفة التربويّة في تنظيم المجتمع نلاحظها في قوله تعالى:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُونَ

٥٥ مغنية، تفسير الكاشف، ٩٥/٢.

٥٦ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ١٤٠/٣.

وَالْأَحْبَارُ... ﴿ (المائدة: ٤٤) ، تُشير الآية الكريمة إلى أن من وظائف العالم الرّباني إقامة العدل والفصل بين الناس بما أنزل الله تعالى من دون خشية من أحد أو ميل لهوى؛ إذ إنّ الرسالة الرّبانية لا تكتمل إلا بتحكيم شريعة الله في واقع الناس، فالعالم الحق لا ينعزل عن قضايا الأمة؛ بل ينخرط في معالجة الخلافات وإحقاق الحق.

وهذا المعنى ممّا أكّده الإمام علي عليه السلام بقوله: (ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك؛ ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد)<sup>٥٧</sup>، والإمام عليه السلام بذلك يربط القيادة العلمية بالحكم العادل الذي يتعد عن الهوى، ويقوم على التقوى والورع والجد، وهذه من أبرز مقومات التربية الصالحة.

ثانياً: صيانة المجتمع من مخالفة الشريعة؛ قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرّبّانِيُونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة: ٦٣) تُظهر الآية مسؤولية العلماء في حراسة المجتمع من الانحرافات العقديّة والسلوكيّة، فتركهم النهي عن المنكر يُعدّ تقصيراً في أداء الوظيفة الرّساليّة، والعالم الرّباني لا يكتفي بالعلم النظري الصرف؛ بل يسعى لتقويم السلوك الجمعي وصيانة الأمة من الانحراف عن جادة الحق.

وفي فكر الإمام علي عليه السلام نلاحظ في قوله: (ما أخذ الله على العلماء أن لا يُقارَوا على كِظّة ظالم، ولا سغبٍ مظلوم)<sup>٥٨</sup>، وهنا إشارة واضحة إلى أن سكوت العالم عن الفساد وعدم تحرك ساكن يُعدّ خيانة لعهد مع الله عز وجل، ومن ثمّ انعدام الضبط الاجتماعي فتعمّ الفوضى ويستشري الانحلال الخُلقي والاستهتار بالقيم السامية.

ثالثاً: التعليم والتربية وبذل العلم للناس؛ قال تعالى: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران: ٧٩) تُبرز الآية أن أساس الرّبانية هو التعليم المستند إلى الكتاب الإلهي، فالعالم الرّباني مربي الأرواح ومهذب للنفوس قبل أن يكون معلماً للعقول، يجمع بين الدراسة والتعليم، ويحوّل العلم من جمود إلى سلوك وإصلاح.

وفي هذا المعنى يقول الإمام عليّ عليه السلام: (زكاة العلم بذله لمستحقه)<sup>٥٩</sup>، وهنا يشبهه أمير المؤمنين عليه السلام الأمر بزكاة المال، فكلما تصدق من ماله انتفع به الآخرون، والعالم يتصدق بعلمه لنفع الآخرين، وفيه دلالة على أن العالم الربّاني لا يكتكر علمه؛ بل يبذله للناس رحمةً وهدايةً لهم، وهذا السلوك جزء هام من الوظيفة الرساليّة للعالم الربّاني في تحصيل المجتمع.

رابعاً: تبصير الناس برّبهم وخالقهم ورازقهم، تصحيح عقائد الناس وتحسين علاقتهم بالله تعالى، وازالة الخرافات والبدع من نفوس الناس، قال تعالى: ﴿الرِّكَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، (ابراهيم: ١) إِنَّ الآيَةَ الْكُرِيمَةَ يُجَسِّدُ الْغَايَةَ الرِّسَالِيَّةَ الْكُبْرَى الَّتِي نَهَضَ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ، وتواصلت عبر العلماء الربّانيين الذين يرثون علمهم ويواصلون مسيرتهم في هداية الناس وإصلاحهم، فالآية تُبرز بوضوح الدور التربوي والإصلاحي للعالم الربّاني؛ إذ إن إخراج الناس من ظلمات الجهل والانحراف والتهيه إلى نور الإيمان والمعرفة والهداية لا يتحقّق إلّا بعالمٍ يحمل همّ الرسالة ويؤدّي تكليفه الإلهي في تبصير الناس برّبهم، وتصحيح عقائدهم، وتطهير نفوسهم من البدع والخرافات، وترسيخ الصلة بالله تعالى.

وهذا المعنى تجلّى في فكر الإمام عليّ عليه السلام حين وصف العلماء الحقيقيين بقوله: (من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره)<sup>٦٠</sup>، في إشارة إلى أن العالم الربّاني هو من يربّي الناس على الوعي بالله والخشية منه، ويقودهم نحو النور الإلهي بالعلم والعمل.

ومن ثمّ، يتّضح أن العالم الربّاني في المنظور العلويّ يمثل الامتداد العملي للوظيفة النبويّة، فهو أداة الهداية وسبيل الإصلاح، ومصدر إشعاع فكريّ وروحيّ ينهض بمسؤوليّة إخراج الناس من الظلمات إلى النور على وفق المنهج القرآني القويم.

خامساً: الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾ (آل عمران: ١٠٤) تُبرز

الآية واجب الدعوة والإصلاح، والعالم الربّاني هو أوّل من يحمل راية الإصلاح الاجتماعي والخُلقي؛ إذ يُحيي فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقول والعمل. ولقد حذر الإمام علي عليه السلام من انتشار المنكر والفساد وعدم ردّه، لما يحمل ذلك أي عدم النهي من تبعات خطيره على الأمة في الدنيا والآخرة، فقال عليه السلام من قلب متوجّع: (إنا لله وإنا إليه راجعون، ظهر الفساد، فلا منكر مغير، ولا زاجر مزدجر، أفبهذا تريدون أن تجاوروا الله في دار قدسه، وتكونوا أعز أوليائه عنده؟ هيهات! لا يخدع الله عن جنته) ٦١، في تأكيدٍ على أن العالم إذا قصر في هذه الفريضة تعطلت رسالة الهداية في المجتمع ودب الفساد الأخلاقي في مفاصل الحياة.

سادساً: الإفتاء وبيان أحكام الشريعة؛ قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣) تدلُّ الآية على مكانة العلماء في بيان أحكام الله عزّ وجلّ وتوجيه الناس لما فيه صلاحهم الديني والدنيوي، فالعالم الربّاني يضطلع بمسؤولية الإفتاء بوعيٍ وورع؛ لأنه موقع توقيعٍ عن الله تعالى في إيصال الحكم الشرعي المنظم لشؤون الحياة. وقد قال الإمام علي عليه السلام: (هلك فيّ رجلان: محبُّ غالٍ، ومبغضٌ قالٍ، وخيرُ الناس في حالاً النمط الأوسط) ٦٢، وفيه تذكير للعالم بأن الإفتاء والبيان يجب أن يكونا بميزان الاعتدال، بعيداً عن الغلوّ أو التفريط ففيهما فساد للفرد والمجتمع، ومن ثمّ وقوع الظلم الجالب للانحرافات الفكرية والسلوكية.

سابعاً: توجيه الناس في الفتن والنوازل؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ...﴾ (النساء: ٨٣) تدلُّ الآية على دور العلماء الربّانيين في تحليل الوقائع، وتوجيه الأمة عند اضطراب الأحوال واشتداد الفتن، فهم أهل البصيرة الذين يردّون الأمور إلى ميزان الشرع والعقل.

٦١ المعتزلي، نهج البلاغة، الخطبة: ١٢٩.

٦٢ المعتزلي، الخطبة: ١٢٥.

وقد قال الإمام عليّ عليه السلام: (إنَّ الحقَّ لا يعرف بالرجال وإنَّها الرجال يعرفون بالحقِّ، فاعرف الحقَّ تعرف أهله قلوباً أو كثروا، واعرف الباطل تعرف أهله قلوباً أم كثروا)٦٣، وهو تأكيد على أنَّ العالم الرَّبَّاني هو مرجع الأُمَّة في التبصير والتمييز بين الحق والباطل عند اشتداد الالتباس ووقوع الشبهات، وهو من أجل وظائف العالم الرَّبَّاني؛ لأنَّها تقابل أخطر أنواع الانحراف الفكري.

ثامناً: تبيين الإسلام الأصيل وتصحيح الشبهات؛ قال تعالى: ﴿وَأَوْحِي إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنُ لِأَنْذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ (الأنعام: ١٩) العالم الرَّبَّاني هو المبلِّغ لرسالة الإسلام الصافية، والمبيِّن لمحاسن الدين في وجه التشويه والانحراف، يردُّ الشبهات بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجدد حضور تعاليم القرآن في واقع الأُمَّة.

وقد قال الإمام عليّ عليه السلام: (ألا لا خير في علمٍ ليس فيه تفهّم، ولا خير في قراءةٍ ليس فيها تدبّر)٦٤، وهو توجيةٌ إلى أن تبليغ الدين لا يتحقق بالسطحيات؛ بل بالفهم العميق والإيضاح الواعي لمضامين الرسالة المحمّدية الأصيلة النابعة من رافديها العظمين الكتاب العزيز والعترة الطاهرة عليه السلام.

تاسعاً: تتجلى وظيفة العلماء الرَّبَّانيين في قيادة قضايا الأُمَّة الكبرى، وهو ما تؤكّده الآية الكريمة: ﴿وَكَايُنْ مَنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ...﴾ (آل عمران: ١٤٦) تُشير الآية إلى الدور المحوري للعلماء في ميدان القيادة والجهاد، فهم طليعة الإصلاح في مواجهة الانحراف الفكري والسلوكي، ورواد المبادرة في صدِّ العدوان بكلِّ أشكاله وتياراته الضالة، هؤلاء العلماء لا يضعفون أمام الصعاب؛ بل يثبتون على الحق، ليصبحوا بذلك حصناً منيعاً للأُمَّة.

وهذا يتناقض مع حال أتباع الهوى، المنهزمين نفسياً، المدّعين للعلم زوراً، والمنتهمين للدين بهتاناً، ولهذا: (ضرب الله مثلاً لهؤلاء باتباع الأنبياء السابقين الذين صبروا على الجهاد والقتل والأسر والجراح، وتركوا الفرار ولم يولون مدبرين)٦٥، عن مسؤولياتهم في تحصين الناس أو متقاعسين عن وظيفتهم الرسالية.

٦٣ الراوندي، قطب الدين. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة. تحقيق: السيد عبد اللطيف الكوهكمري (قم: مطبعة الخيام مكتبة آية الله المرعشي العامة ١٤٠٦) ٣/٣٧٤.

٦٤ الكليني، الكافي، ١/ ٤٩.

٦٥ مغنية، تفسير الكاشف، ٢/ ١٦٨.

وقد قال الإمام علي عليه السلام: (ألا وإن لكل مأموم إمامًا يقتدى به ويستضيء بنور علمه. ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرُونَ على ذلك؛ ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد)<sup>٦٦</sup>، مؤكِّدًا أنَّ القيادة الرَّبَّانية تتطلَّب وعيًا وصبرًا وثباتًا في ميادين الإصلاح والجهاد، وكذلك يحثُّ الناس على التزام الورع والاجتهاد؛ لما فيه نفاذ لتوجيهات القادة الرَّبَّانيين، وكذلك أن زرع بذرة العالم الرَّبَّاني في نفوسهم ستثمر في قابل الأيام، فهي تربية على تحمل المسؤولية.

عاشراً: إسداء النصيحة وبذلها للمسلمين؛ تُعدُّ النصيحة من أبرز الوظائف الرساليَّة للعالم الرَّبَّاني، لما تمثله من جوهر تربوي وإصلاحي يهدف إلى توجيه الأفراد وتقويم السلوك الاجتماعي والفكري في ضوء مبادئ الدين، فالقرآن الكريم أشار إلى هذا المبدأ في قوله تعالى عن النبي هود عليه السلام: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (الأعراف: ٦٨)، وفي موضع آخر قال تعالى عن النبي نوح عليه السلام: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٦٢) ونلاحظ هنا ذكر النصيحة بين البلاغ والعلم، فهي معطوفة على الذي قبلها (أُبَلِّغُكُمْ)، ومعطوف عليها الذي بعدها (وَأَعْلَمُ)، ممَّا يشعر بمنزلتها وأهميتها في رسالات الأنبياء عليهم السلام ودعوتهم، فهي وسيلة البلاغ النبوي، وكذا هي دليل العلم والمعرفة الرَّبَّانية. وقال تعالى عن آخرين غير الأنبياء: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَائِكَةَ آمَتُونَ بِكَ لِيُقَاتِلُوا فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾، (القصص: ٢٠) من السياق العام لهذه المواضع يتضح أن النصح (يكثُر إطلاقه على القول الذي فيه تنبيه للمخاطب إلى ما ينفعه ويدفع عنه الضرر)<sup>٦٧</sup>، وعليه، فإنَّ نصيحة الأنبياء والصالحين تُعرض كواحدة من أهمِّ مهامهم تجاه أقوامهم؛ فهم ينصحون؛ لأنَّهم يبلغون تمامًا كما يتلقَّون الوحي الذي يمكنهم من العلم بما لا يعلمه غيرهم، لتكون النصيحة بذلك وسيلةً أساسيةً في توجيهه والإنقاذ.

٦٦ المجلسي، بحار الأنوار، ٣٣/ ٤٧٤.

٦٧ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ٨/ ١٤٩.

وعليه يؤكّد المنهج التربوي القرآني أنّ النصيحة كانت سمةً تربويّةً ملازمةً للأنبياء في أداء رسالاتهم، وهي من واجبات العالم الرّبّاني والرجل المصلح؛ إذ هي أداة الإصلاح ووسيلة الهداية وعلاجاً تربويّاً ناجعاً للانحرافات.

وفي ضوء فكر الإمام عليّ عليه السلام والمنهج التربوي القرآني، تتخذ النصيحة بُعداً مؤسّساتياً يعبر عن مسؤوليّة العالم في رعاية الأُمَّة ومتابعة شؤونها، فهو الموجه والمصلح الذي لا ينأى بنفسه عن حاجات الناس الفكرية والسلوكية؛ بل يُبادر بتقويمها بالحكمة والرفق، وقد قال عليه السلام: (من واجب حقوق الله على عباده النصيحة بمبلغ جهدهم، والتعاون على إقامة الحقّ بينهم)<sup>٦٨</sup>، دلالةً على أنّ النصيحة واجب تربويّ مشترك؛ لكنّها تتأكّد في حقّ العالم الرّبّاني لما يمتلكه من بصيرةٍ ومعرفةٍ وورعٍ واجتهاد يجعله مؤهلاً للإرشاد والنصح والتقويم.

ومن ثمّ، فإنّ النصيحة تمثّل في جوهرها أداةً تربويّةً للإصلاح الاجتماعي، يقوم بها العالم الرّبّاني بوصفه وارث الأنبياء وامتدادهم في تبليغ الحقّ، إنّها تشكّل حصناً وقائياً يعالج الانحرافات الفكرية والسلوكية التي تمسّ استقامة الفرد والمجتمع.

يُعدُّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام النموذج التطبيقي الأسمى للعالم الرّبّاني ومؤسّس الإصلاح التربوي؛ إذ مثّل بفكره وسلوكه تجسيداً كاملاً للقيم والمبادئ التي دعا إليها، وعليه، فإنّ ما تقدّم من توصيفات لصفات العالم الرّبّاني في بيانه تُعدُّ متحقّقة فيه قولاً وفعلاً، ممّا يجعله بحق تاج العلماء الرّبّانيين ورأسهم، وعبر مراجعة البحوث والدراسات المتخصصة في مفهوم ووظيفة العالم الرّبّاني\*، تبين أنّ الإمام عليّاً عليه السلام قدّم تحديداً وتطبيقاً لهذه الصفة بأصالته وشموليّته التي لم تتبيّن في كثير من التناولات، مؤكّداً على أنّ شخصيته تمثّل المرجع الأجدر والأكمل لهذا الوصف السامي، قولاً وعملاً.

ولا غرابة في هذا القول والاستنتاج؛ إذ لم يكن فكره وسلوكه عليه السلام وليد الساعة ولا اكتشاف اليوم، إنّما هو أصل من أصول الدين المرتبط بالسماء، وهكذا كل من ارتبط بأمر

٦٨ المعتزلي، نهج البلاغة، خطبة: ٢١٦.

\* ممّا أطلع عليه الباحث ينظر: العلماء الرّبّانيون تعريفهم علاماتهم حقوقهم، كفاح صابر رشيد، ص ٢٩٩، مفهوم الرّبّانية في القرآن الكريم، د. عثمان محمّد الحسن، ص ٢٨٦٩، مفهوم الرّبّانية في المصطلح القرآني، د. محمّد بن عبد العزيز الصعب، ص ٣٢، العالم الرّبّاني وحاجة الأُمَّة إليه اليوم - زيد بن أسلم نموذجاً-، د. علي بن ابراهيم نهاري، ص ٣٨٧.

المؤمنين علي عليه السلام توارث علمه وسار بنهجه وتأکید ذلك ما نلتسمسه في قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام؛ إذ قال: (إنَّ عليًّا كان عالمًا، وإنَّ العلم يتوارث ولن يهلك عالم إلا بقي من بعده من يعلم مثل علمه أو ما شاء الله)<sup>٦٩</sup>.

وإتمامًا لما تقدّم في المطالب الثلاثة وبما ينسجم مع محور البحث وموضوعه - فكر الإمام علي عليه السلام التربوي الاصلاحى - نلاحظ منهج أمير المؤمنين عليه السلام في إصلاح الأمة، وحفظ نظامها التربوي التأكيد على وظيفة (النصيحة)؛ إذ نطالع قوله عليه السلام: (أيُّها الناس! إنَّ لي عليكم حقًّا ولكم عليّ حق؛ فأما حقُّكم عليّ فالنصيحة لكم... وأما حقِّي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في المشهد والمغيب)<sup>٧٠</sup>.

فهذا القول يشير إلى فكره عليه السلام التربوي الاصلاحى في التزام العالم الرِّبَّاني المتمثّل بتقديم النصيحة الصادقة للجماعة، في كلِّ ظرف "مشهد ومغيب"، أي علانيّة وخفاءً، وبيان أنّ النصيحة ليست فقط لفظًا؛ بل موقف تربويّ شامل، وهو يركّز على واجب العلاقة المعنوية بين "العالم" والجماعة، وليست علاقة سلطة فحسب؛ بل علاقة نصيحة المنحرف وإصلاح المعوج.

وكذلك من نور فكره الاصلاحى التربوي نطالع قوله عليه السلام: (ليس على الإمام إلا ما حمل من أمر ربّه: الإبلاغ في الموعظة، والاجتهاد في النصيحة)<sup>٧١</sup>، فهو عليه السلام هنا يؤكّد أنّ وظيفة العالم الرِّبَّاني هي وظيفة تبليغ وإرشاد، لا مجرد إدارة شؤون أو حصاد مناصب؛ بل واجب كشف الحق وتوجيه الأمة بالتوعية والنصيحة، وهي خاصّة مهمّة في معالجة الانحرافات الفكرية والسلوكية؛ إذ إنّ "النصيحة" هي الأسلوب التربوي الاصلاحى الذي ينتشل الفرد والمجتمع من الظلمات.

وكذلك نلاحظ تأكيده عليه السلام على النصيحة بصورتها الأوسع في قوله عليه السلام: (من واجب حقوق الله على عباده النصيحة بمبلغ جهدهم، والتعاون على إقامة الحقّ بينهم)<sup>٧٢</sup>، فهنا عليه السلام يوسّع

٦٩ الكليني، الكافي، ١/ ٢٤٨.

٧٠ المعتزلي، نهج البلاغة، خطبة: ٣٤.

٧١ المعتزلي، الكتاب: ١٠٥.

٧٢ المعتزلي، خطبة: ٢١٦.

مفهوم النصيحة لتشمل التعاون الجماعي في إقامة الحق ونشر الفضيلة، وله دلالة تربويّة واضحة على أنّ العالم الرّبّاني ليس وحيدياً في وظيفته الرساليّة؛ بل يسعى إلى إشراك المجتمع وتعبئة طاقاته في العمل الإصلاحي، ممّا يقوّي نسيج الجماعة ويحصنه من الانحرافات الفكرية والسلوكية التي قد تنشأ بسبب عزلة الفرد أو غياب العمل التشاركي.

وعليه أنّ في صلاح العالم صلاح العالم، وكذلك أنّ في فساد العالم وانحرافه فساد العالم وانحرافه؛ فأشد أنواع الضلالة خطراً ما كان على بصيرة، وأنّ العلم نفسه، عندما يُجرّد من التقوى، يصبح أداة للفساد والتمكين للظلم، بدلاً من أن يكون بصيرة للنجاة، وهذا يمثل إدانة لـ "عالم السوء" الذي يُضللّ الناس بأسانيده الشرعيّة.

ويُظهر التدقيق في نصوص أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) توازناً منهجياً بين البناء والتحذير، فكما أكّد على أهميّة العالم الرّبّاني ودوره المحوري في بناء الفرد والمجتمع، فإنّه بالمقابل حذّر بشدة من خطورة علماء السوء الذين يرفعون راية الضلال والانحراف.

يُعدُّ حديثه (عليه السلام) شاهداً قوياً على هذا المنهج النقدي؛ إذ قال (عليه السلام): (إنّ في جهنّم رحى تطحن، أفلا تسألوني ما طحنها؟ فقليل له: وما طحنها يا أمير المؤمنين؟ قال: العلماء الفجرة، والقراء الفسقة، والجبابرة الظلمة، والوزراء الخونة، والعرفاء الكذبة)<sup>٧٣</sup>.

إنّ ذكر هذه الفئات مجتمعة في سياق الوعيد بعقوبة شديدة (الرحى التي تطحن في جهنّم) يؤكّد على أنّ إصلاح هذه القيادات هو المدخل الضروري للإصلاح التربوي العام للمجتمع، وأنّ انحرافها يؤكّد الفساد الشامل الهادم لخصنها.

إنّ هؤلاء الأدعياء على العلم قد انتشروا في أوساط الأُمَّة ينشرون جهلهم في أوساط الناس، يفتنون بغير علم، يتبعون أهواءهم في فتاويهم، يقدّمون عقولهم على نصوص القرآن المجيد والسنة الشريفة، فهؤلاء قد خانوا الأمانة، وغشوا الديانة فوزرهم عظيم، وجرمهم شنيع، ومصيرهم فظيع، قال سبحانه: ﴿وَأَنْزَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٥) فهذه الآية الكريمة تحذرننا من الاغترار بالمظاهر وتحثنا على اليقظة الدائمة من مزالق الشيطان، فإنّ العالم

(يسير في طريق الحق ابتداءً وبشكل لا يفكر معه أحد بأنه سينحرف يوماً، إلا أنه نتيجة لإتباعه لهوى النفس، وبهارج الدنيا انتهى إلى السقوط في جماعة الضالين وأتباع الشياطين)<sup>٧٤</sup>، فهذا العالم وأمثاله أرادوا بعلمهم الدنيا وحظوظها، والحياة ومتاعها فالويل كل الويل لهم، قال عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (الإسراء: ١٨) فهم لم يخلصوا في علمهم؛ بل طلبوا به الشهرة والثناء، فما أتعس مصيرهم، وما أعظم عقوبتهم، يقول النبي ﷺ: (إِنَّ أَوَّلَ مَا يَقْضَى عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ... وَذَكَرَ مِنْهُمْ: وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلِمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نَعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلِمْتَهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ لِيُقَالَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ)<sup>٧٥</sup>.

ما أسوأ المصير لعالم يدعي العلم فلم يراقب الخالق ولم يحترم الميثاق القرآني؛ إذ قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَزُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾. (آل عمران: ١٨٧)

وعلى الرغم من التحديات الفكرية والانحرافات السلوكية التي قد تعترى بعض النخب، فإن الأمة الإسلامية تحتفظ بفضل الله سبحانه بوجود العلماء الربانيين الذين يتميزون بالصدق والإخلاص والتجرد، وتؤكد المصادر التراثية استمرارية هذه الفئة النبيلة في كل زمان ومكان، كما أشار أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام بقوله: (لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إمّا ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيناته)<sup>٧٦</sup>، وهذا النص الشريف يُشير إلى استدامة حجة الله في الأرض عبر القائمين بالعلم المقرون بالعمل، وهم النخبة التي يُعقد عليها الأمل في تحقيق الخير والصلاح والهداية للأمة.

فأهم صفات علماء الدين الذين يجب أن يصبحوا قادة للأمة، هو الزهد في طلب الحياة الدنيا، وفي دعاء (الندبة) الذي يحدّد الإمام فيه صفات أولياء الله الصالحين نقرأ فيه هذه

٧٤ الشيرازي، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٠١/٥.

٧٥ النيسابوري، مسلم أبو الحسن بن الحجاج، صحيح مسلم (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٥٥)، ١٩٠٥.

٧٦ المعتزلي، نهج البلاغة، حكمة: رقم ١٤٧.

الفقرة الشريفة: (وشرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنيّة وزخرفها وزبرجها)\*، وعليه فإنّ من يشترك في طريق الإمامة والقيادة الروحيّة من العلماء والصالحين يجب أن يكونوا قد عاهدوا الله على ترك الانجراف وراء ملذّات الدنيا الزائلة والزينة الماديّة، والتركيز على الصفات الأخلاقيّة والروحيّة السامية بدلاً منها؛ ليكونوا بحقّ علماء ربّانيّون مصلحون. لقد أكّد القرآن الكريم على هذا المبدأ، فالله سبحانه منح أولياءه العالمين العاملين قيادة الناس إلى برّ الأمان بعد أن أخذ عليهم العهد بالزهد في متاع الدنيا وزينتها، هذا الشرط الأساسي، الذي خوّلهم مسؤوليّة الإمامة وصلاح الأمتة، يمثّل حصناً قياديّاً، وبموجب هذا المنهج القرآني، يُعدّ هذا التعهد بالزهد والعمل هو السبيل الأمثل للمعالجات التربويّة الإصلاحيّة، وهو ما يشكّل ركيزةً محوريّةً في الفكر التربوي للإمام عليّ (عليه السلام) لتحسين المجتمع من الانحراف.

#### الخاتمة:

بعد اجتياز غمار هذه الرحلة البحثيّة التربويّة في (منظومة التحصين التربوي في فكر الإمام عليّ (عليه السلام) على ضوء القرآن الكريم - العلم، القدوة، والعالم الرّبّاني كآليات لمواجهة الانحراف-)، التي ائتزرت بنور القرآن الكريم، والتفتّ بعباءة الحكمة العلويّة، تنجلي لنا الحقائق الآتية في وضوح ويقين لنقول:

أولاً: أنّ فكر الإمام عليّ (عليه السلام) يمثّل منظومةً تربويّةً متكاملةً لعلاج الانحراف لدى المسلمين، وقد بدت للباحث أنّها تركز على ثلاثة محاور متكاملة:

١. العلم والمسجد وسيلة للوعي والبصيرة.

٢. القدوة بوصفها أساساً للسلوك القويم.

٣. العالم الرّبّاني بوصفه قائداً وموجّهاً نحو الهداية.

ثانياً: يؤكّد القرآن الحكيم على المنهج التربوي الوقائي والعلاجي من طريق ضرورة الالتزام بالبيئة الصالحة التي تجمع المؤمنين، وهذا المنهج ينسجم تماماً مع ما جاء في فكر الإمام عليّ (عليه السلام) التربوي، الذي يرى أنّ البيئات الفاضلة - وعلى رأسها المسجد والمؤسّسة

\* من دعاء الندبة الشريف المروي عن إمامنا الحجة المنتظر (عليه السلام).

التعليمية - لها أثر بالغ ومحوري في توجيه الفرد نحو الخير واجتناب السيئات والمنكرات، وعليه، فإنَّ تفعيل دور هاتين المؤسستين على وفق هذا الفكر هو الضمانة الأساسية لتحصين الشباب والمجتمع من سائر الانحرافات الفكرية والسلوكية.

ثالثاً: أنَّ العلماء الربانيين يبدون الأفكار الضالَّة قبل انتشارها عبر تشكيل العقل المسلم بصورة سليمة رافضة للانحراف، فالبناء العلمي والتربوي الصحيح يحمي المسلم ابتداءً من تقبُّل فكرة هجينة، بحيث يتصور المسلم دينه بشكل صحيح عبر معرفته بطبيعته وتعاليمه ومقاصده وغاياته، وهذا الدور يقوم به العلماء العاملون بكلِّ إخلاص واقتدار، بينما تنصب كثير من جهود المؤسسات الدينية والأكاديمية وغيرها على معالجة نتائج الضلال والانحراف والتطرف كالعنف والخلاف والعصبية، وفرق بين المنهجين.

رابعاً: لحظنا أنَّ الفكر التربوي عند أمير المؤمنين عليه السلام كان فيه أيضاً تحذير من اتباع علماء السوء، ويُعدُّ هذا التحذير منهجاً لتربية الأجيال على الحذر من الاغترار بالمظاهر العلمية والدينية التي لا يقترن بها الصدق والاستقامة، ممَّا يُرسِّخ مبدأ التقوى بوصفه شرطاً لازماً لصحة القيادة.

خامساً: إذا التزم المسلمون وفئة الشباب بمنهج الإمام علي عليه السلام وأسس: (العلم والمسجد، والقُدوة الحسنة، والعالم الرباني)، وأحسن المربون والعلماء استلهاها وتطبيقها، فإنَّ المجتمع سينهض بجيلٍ مؤمنٍ ناضجٍ واعٍ، يجمع بين الفكر الراشد والسلوك القويم، مستنيراً بهدي الإمام علي عليه السلام الذي قال: (إنَّ الله تعالى جعل الذكر جلاءً للقلوب، وتسمع به بعد الوقرة، وتبصر به بعد العشوة)<sup>٧٧</sup>.

سادساً: يُمثَّل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام النموذج التطبيقي الأسمى لـ "العالم الرباني" ومؤسس الإصلاح التربوي؛ إذ تجسَّدت فيه جميع صفات هذا الوصف السامي قولاً وفعلاً، وبمقارنة فكره مع الدراسات المتخصصة، تبين أنَّ الإمام علي عليه السلام قدَّم التحديد والتطبيق الأكثر أصالة وشموليةً لمفهوم ووظيفة العالم الرباني، ممَّا يجعله المرجع الأجدر والأكمل لهذا الوصف في منظومة التحصين التربوي.

سابعاً: سيظلُّ "نهج البلاغة" بحكم ارتباطه المطلق بالوحي، نبراساً مشعاً يهتدي بنوره السالكون وينهل منه المتتهلون، هذه الحكمة الخالدة تنبع من معين أزلي، يجعلها في منأى عن زوال أو اندثار.

وأخيراً، فإنَّ هذا الجهد العلمي، على قصوره عن استيفاء حقِّ الموضوع وعظمته، يبقى إسهاماً مخلصاً بذله الباحث يرجو به رضوان الله سبحانه، هدفه الأسمى؛ خدمة نهج أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، الذي هو فيض متجدد من نبع القرآن العظيم وسنة سيّد المرسلين عليه السلام، أسأل الله عزَّ وجلَّ أن يتقبَّل هذا السعي، ويسدّد خطانا في ردم الصدع الذي أتر في البناء الأخلاقي والتربوي للأمة..

والحمد لله ربَّ العالمين

## المصادر

## القرآن الكريم

- ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي. تحف العقول. بيروت: مؤسّسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٢.
- ابن عاشور، محمّد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير. بيروت: مؤسّسة التاريخ، د.ت.
- ابن منظور، محمّد بن مكرم. لسان العرب. ط ٣. بيروت: دار صادر، ١٤١٤.
- الحر العاملي، محمّد بن الحسن. وسائل الشيعة. قم: مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، د.ت.
- الرازي، فخر الدين. تفسير مفاتيح الغيب. بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٤.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمّد. المفردات في غريب القرآن. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. دمشق: دار القلم، ١٤١٢.
- الراوندي، قطب الدين. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة. تحقيق: السيّد عبد اللطيف الكوهكمري. قم: مطبعة الخيام مكتبة آية الله المرعشي العامّة، ١٤٠٦.
- الريشهري، محمّد. ميزان الحكمة. قم: دار الحديث، ١٤٢٢.
- السيّد البروجردي. جامع أحاديث الشيعة. المحقق: أغا حسين الطباطبائي البروجردي. قم: الناشر: دار المهتر، ١٤٢٢.
- الشيرازي، ناصر مكارم. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل. ط ١. بيروت: دار احياء التراث العربي، ٢٠٠٥.
- الصدر، السيّد محمّد باقر. أهل البيت عليه السلام، تنوع أدوار ووحدة هدف. تحقيق: عبد الرزاق الصالح. قم: مؤسّسة ام القرى للنشر والتحقيق، ٢٠٠٦.
- الصدوق، محمّد بن جعفر. من لا يحضره الفقيه. بيروت: مؤسّسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٨٦.
- الفتلاوي، محمّد كاظم. الأثر القرآني في فكر السيّد السيستاني - دراسة تربويّة في النصائح الاجتماعيّة للشباب المؤمن. كربلاء المقدسة: دار الوارث للطباعة والنشر، ٢٠٢٥.
- الفتلاوي، محمّد كاظم. الخطاب الأخلاقي في القرآن الكريم علاقة الإنسان بالإنسان. "مجلة كلية الفقه جامعة الكوفة السنة ١، العدد ١١ (٢٠١٠).
- الفتلاوي، محمّد كاظم. الدعوة إلى الله دراسة قرآنيّة في الأساليب والنتائج. "مجلة العقيدة، العتبة العباسية المقدسة العدد ٣٤ (٢٠٢٥).
- الفتلاوي، محمّد كاظم. العلم في المفهوم القرآني. "مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربويّة، كلية التربية، جامعة القادسية المجلد ٩، العددان ٣-٤ (٢٠١٠).
- الفتلاوي، محمّد كاظم. النقد القرآني للانحراف العقلي والعقدي. "مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانيّة السنة ١١، العدد ٢١ (٢٠١٧).
- الفتلاوي، محمّد كاظم. معالم تربويّة أخلاقيّة في فكر السيّد الزهراء عليه السلام - مقارنة قرآنيّة تفسيرية. "مجلة كلية التربية الأساسيّة، الجامعة المستنصرية، وقائع المؤتمر العلمي السنوي الرابع والعشرون، للمدة ١٣، ٢٠٢٤.
- القرطبي، محمّد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن. ط ١. بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٠.
- الكليني، محمّد بن يعقوب. الكافي. تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري. ط ٣. طهران: دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٦٧.
- المجلسي، محمّد باقر. بحار الانوار. بيروت: دار الوفاء، ١٩٨٣.

- المسيليني، زهير، بسندي فائزة. "المنهج التربوي في فكر الإمام علي عليه السلام، المبادئ والأهداف". مجلة أوراق ثقافية السنة ٦، العدد ٣١ (٢٠٢٤). المعتزلي، ابن أبي الحديد. نهج البلاغة. بيروت: دار الأضواء، ٢٠٠٣.
- النيسابوري، مسلم أبو الحسن بن الحجاج. صحيح مسلم. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٥٥.
- مغنية، محمد جواد. تفسير الكاشف. بيروت: دار التيار، ٢٠١٣.
- يوسف، محمد خير رمضان. لقمان الحكيم وحكمه. سوريا: دار القلم، ١٩٩٩.

## References

### Holy Quran

- Al-Fatlawi, Muhammad Kazim. "Al-'Ilm fi al-Mafhum al-Qurani." *Majallat al-Qadisiyyah fi al-Adab wa-al-'Ulum al-Tarbawiyah*, Faculty of Education, University of Al-Qadisiyah, vol. 9, no. 3-4 (2010).
- Al-Fatlawi, Muhammad Kazim. "Al-Da'wah ila Allah: Dirasah Quraniyyah fi al-Asalib wa-al-Nata'ij." *Majallat al-'Aqidah*, Holy Al-Abbas Shrine, no. 34 (2025).
- Al-Fatlawi, Muhammad Kazim. "Al-Khitab al-Akhlaqi fi al-Quran al-Glorious: 'Alaqa al-Insan bi-al-Insan." *Majallat Kulliyat al-Fiqh*, Jami'at al-Kufah, Year 1, no. 11 (2010).
- Al-Fatlawi, Muhammad Kazim. "Al-Naqd al-Qurani li-l-Inhiraf al-'Aqli wa-al-'Aqadi." *Majallat Kulliyat al-Tarbiyah li-l-Banat li-l-'Ulum al-Insaniyyah*, Year 11, no. 21 (2017).
- Al-Fatlawi, Muhammad Kazim. "Ma'alim Tarbawiyah Akhlaqiyyah fi Fikr al-Sayyidah al-Zahra' (Peace Be Upon Her) - Muqarabah Quraniyyah Tafsiriyyah." *Majallat Kulliyat al-Tarbiyah al-Asasiyyah*, Al-Mustansiriyah University, Proceedings of the 24th Annual Scientific Conference, 2024.
- Al-Fatlawi, Muhammad Kazim. *Al-Athar al-Qurani fi Fikr al-Sayyid al-Sistani – Dirasah Tarbawiyah fi al-Nasaih al-Ijtima'iyyah li-l-Shabab al-Mu'min*. Holy Karbala: Dar al-Warith li-l-Tiba'ah wa-al-Nashr, 2025.
- Al-Hurr al-'Amili, Muhammad bin al-Hasan. *Wasa'il al-Shi'ah*. Qom: Mu'assasat Ahlalabayt (Peace Be Upon Them) li-l-Hya' al-Turath, n.d.
- Al-Kulayni, Muhammad bin Ya'qub. *Al-Kafi*. Edited by Ali Akbar al-Ghaffari. 3rd ed. Tehran: Dar al-Kutub al-Islamiyyah, 1367 AH.
- Al-Majlisi, Muhammad Baqir. *Bihar al-Anwar*. Beirut: Dar al-Wafa', 1983.
- Al-Masaylini, Zuhayr, and Basandi Fa'izah. "Al-Manhaj al-Tarbawi fi Fikr al-Imam Ali (Peace Be Upon Him): al-Mabadi' wa-al-Ahdaf." *Majallat Awraq Thaqafiyah*, Year 6, no. 31 (2024).
- Al-Mu'tazili, Ibn Abi al-Hadid. *Nahj al-Balaghah*. Beirut: Dar al-Adwa', 2003.
- Al-Naysaburi, Muslim Abu al-Hasan bin al-Hajjaj. *Sahih Muslim*. Cairo: Matba'at Isa al-Babi al-Halabi, 1955.
- Al-Qurtubi, Muhammad bin Ahmad. *Al-Jami' li-Ahkam al-Quran*. 1st ed. Beirut: Dar al-Kitab al-'Arabi, 2000.

- Al-Raghib al-Asfahani, Abu al-Qasim al-Husayn bin Muhammad. Al-Mufradat fi Gharib al-Quran. Edited by Safwan Adnan al-Dawudi. Damascus: Dar al-Qalam, 1412 AH.
- Al-Rawandi, Qutb al-Din. Minhaj al-Bara'ah fi Sharh Nahj al-Balaghah. Edited by al-Sayyid Abd al-Latif al-Kuhkamari. Qom: Matba'at al-Khayyam, Maktabat Ayatollah al-Mar'ashi al-'Ammah, 1406 AH.
- Al-Rayshahri, Muhammad. Mizan al-Hikmah. Qom: Dar al-Hadith, 1422 AH.
- Al-Razi, Fakhr al-Din. Tafsir Mafatih al-Ghayb. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, 2004.
- Al-Sadr, al-Sayyid Muhammad Baqir. Ahlal bayt (Peace Be Upon Them), Tanawwu' Adwar wa-Wahdat Hadaf. Edited by Abd al-Razzaq al-Salilihi. Qom: Mu'assasat Umm al-Qurali-l-Nashr wa-al-Tahqiq, 2006.
- Al-Saduq, Muhammad bin Ja'far. Man la Yahduruhu al-Faqih. Beirut: Mu'assasat al-A'lami li-l-Matbu'at, 1986.
- Al-Sayyid al-Borujerdi. Jami' Ahadith al-Shi'ah. Edited by Agha Husayn al-Tabataba'i al-Borujerdi. Qom: Dar al-Mihr, 1422 AH.
- Al-Shirazi, Nasir Makarim. Al-Amthal fi Tafsir Kitab Allah al-Munzal. 1st ed. Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi, 2005.
- Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir. Tafsir al-Tahrir wa-al-Tanwir. Beirut: Mu'assasat al-Tarikh, n.d.
- Ibn Manzur, Muhammad bin Makram. Lisan al-'Arab. 3rd ed. Beirut: Dar Sadir, 1414 AH.
- Ibn Shu'bah al-Harrani, al-Hasan bin Ali. Tuhaf al-'Uqul. Beirut: Mu'assasat al-A'lami li-l-Matbu'at, 2002.
- Mughniyyah, Muhammad Jawad. Tafsir al-Kashif. Beirut: Dar al-Tayyar, 2013.
- Yusuf, Muhammad Khayr Ramadan. Luqman al-Hakim wa-Hikamuh. Syria: Dar al-Qalam, 1999.